

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها
التخصص: لسانيات عامة

العنوان:

جمالية التوازي الصوتي في القرآن الكريم بين علماء التجويد
والتحليل اللساني المعاصر

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

تحت إشراف الأستاذة

- د خلوف نعيمة

من إعداد الطالبة:

- بوكروشة سارة

لجنة المناقشة:

رئيسا .

جامعة غليزان

1- أ/ د. بوخاري خيرة

مشرفا ومقررا.

جامعة غليزان

2- أ/ د. خلوف نعيمة

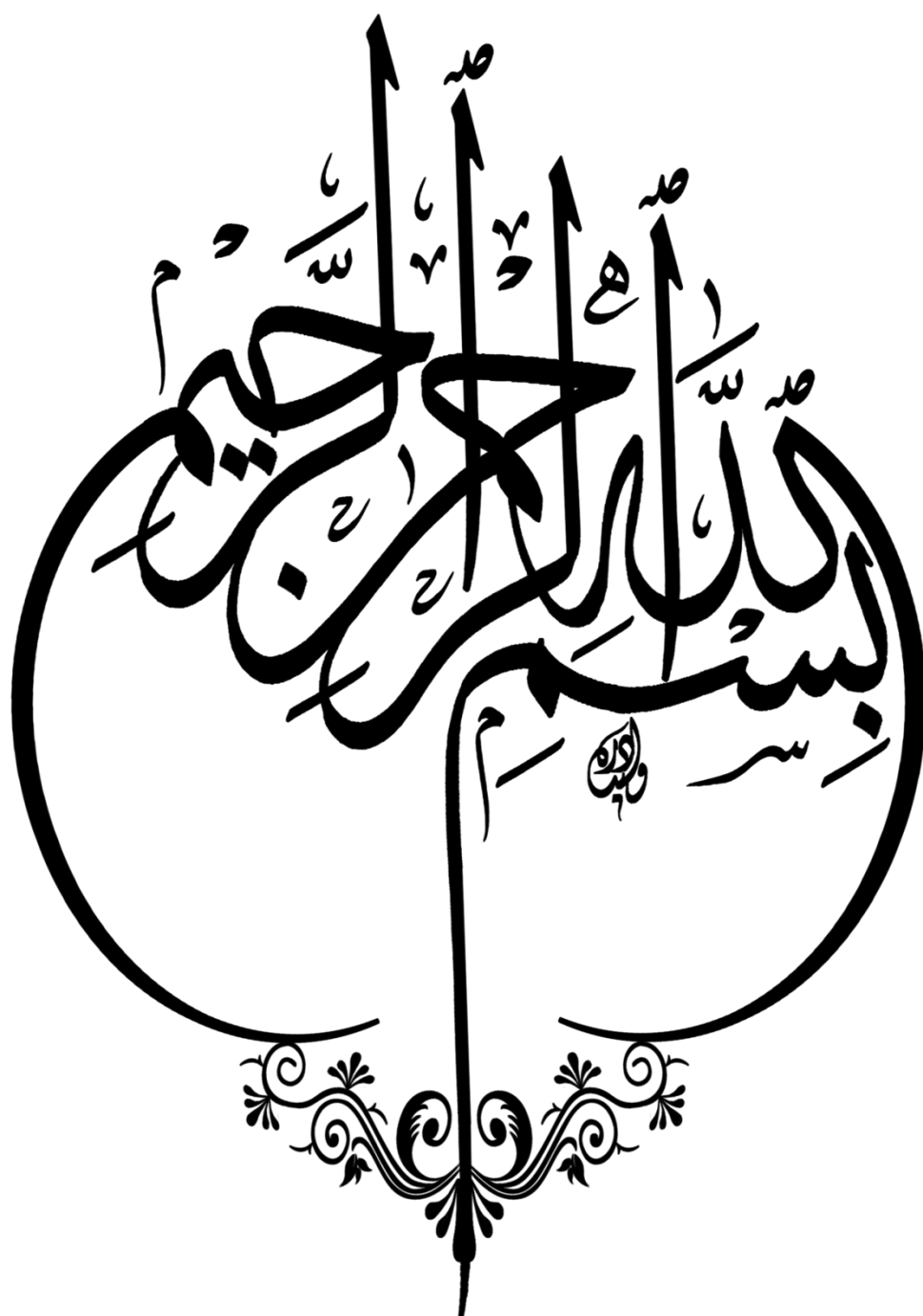
عضوا مناقشا.

جامعة غليزان

3- أ/ د. بخدة فاطيمة الزهراء

السنة الجامعية:

1446 / 1447هـ - 2025م - 2026م



شكر و عرفان

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾

سورة النمل، الآية 19

الحمد لله الذي وهبنا الصبر وحسن التدبير ،

والشكر لله سبحانه وتعالى الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل ، وما توفيقنا إلا بالله ، وعليه توكلنا ، وعليه

فليتوكل المتوكلون

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة

الدكتورة : د. خلوف نعيمة

وأشكرها على مساندتها لي وجهدها الكبير في توجيهي حتى تمكنت من إتمام هذا العمل.

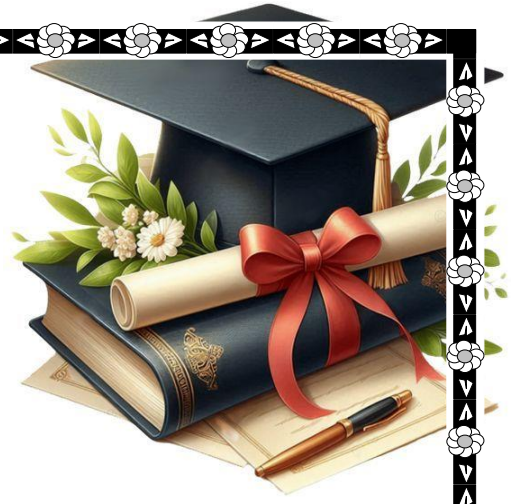
كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى قسم اللغة العربية الأفاضل لما بذلوه من جهد وتوجيه ونصح

ولن أنسى أساتذة اللجنة المناقشة، أشكرهم على تفضلهم بقبول الاشتراك في مناقشة بحثي وتقييمه.

والشكر موصول إلى كل من أفادني ولو بالقليل في إتمام هذا العمل ... بارك الله فيكم جميعاً.

وأخيرا نحمد الله العلي العظيم ونصلي على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

الإهداء



الحمد لله حمداً وشكراً وامتداداً على البدء والختام.

إذا كان أول الطريق ألم فإن آخره تحقيق حلم ، فلكل بداية نهاية.

هاهي السنوات قد مرت والحلم تحقق فاللهم لك الحمد قبل أن ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا .

أهدي هذا العمل إلى من كان دعاءها سرّ نجاحي ، ونور دربي

إلى أُمي الغالية حفظها الله ورعاها من كل شر وأطال في عمرها.

إلى أخي وأخواتي

سندي في الحياة ومصدر قوتي.

إلى زوجي الغالي، شكراً لدعمك الدائم لي، ولوقوفك بجاني في كل خطوة.

إلى كل من شجعني ووقف إلى جانبي في مساري الدراسي .

أهدي ثمرة جهدي المتواضع راجية من الله التوفيق والسداد.





القرآن الكريم كلام الله تعالى، تنزيلٌ محكمٌ لا يتطرق إليه باطلٌ من بين يديه ولا من خلفه، جمع بين كمال المعنى وروعة اللفظ، فكان آيةً خالدةً تتجدد أنوارها ولا تنقضي أسرارها، وقد نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، فبلغ الغاية في الفصاحة والبيان حتى وقف أمامه فحول العرب، وأئمةُ البلاغة عاجزين عن الإتيان بمثله ولو بآية، فكان من أسمى وجوه الإعجاز و في مقدمتها الإعجاز البياني؛ حيث يتجلى انسجام اللفظ مع المعنى ودقة النظم، يستدعي التأمل للكشف عن ما يزخر به من لطائفٍ وأسرارٍ لا تنفذ.

ولهذا اخترت أن تكون دراستي لسانية؛ لأن القرآن الكريم نصًّا بليغًا متفردًا، وزاخر بالدلالات التي لا تنفذ، يستمد منه الفقيه الأحكام الشرعية، ويستخرج منه النحوي أصول التراكيب وأساليب التعبير، ويهتدي به البلاغي إلى طرائق الفصاحة والبيان، ولا يخفى ما في أسلوبه من مظاهر جمالية تؤثر في السامع والقارئ، ويبرز في مقدمتها الجانب الصوتي.

وانطلاقًا مما تقدم، وسعيًا لاستكمال ما بذله العلماء والباحثون من جهود في الكشف عن وجوه الإعجاز في البيان القرآني، وقع الاختيار على موضوع مذكرة الماستر تخصص لسانيات عامة الموسوم بـ: "جمالية التوازي الصوتي في القرآن الكريم بين علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر". لا عجب أن قارئ القرآن الكريم قراءةً متأنيةً متدبرةً يستشعر جمالاً أسراً ويحسُّ بجمال روعي لا يبلغه كلام البشر، ومن هذا المنطلق تتحدّد إشكالية هذا البحث في التساؤل التالي: ما سرُّ هذا الجمال البديع الذي ينهض به التوازي الصوتي، فيمنحه نغمًا خاصًا متفردًا، ذا طابع إعجازي يمتد إلى أعماق النفس فيبعث فيها الطمأنينة، ويغمرها إيمانًا؟

ومن هذا الإشكال تتمحور مجموعة من التساؤلات نجملها فيما يأتي:

- ما هي الجمالية؟ وأين تكمن في النص القرآني؟
- هل التوازي الصوتي مظهرًا من مظاهر الإعجاز القرآني؟
- ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين معالجة علماء التجويد والتحليل اللساني لهذه الظاهرة؟

- إلى أي مدى يسهم التوازي الصوتي في تحقيق الأثر النفسي والدلالي في المتلقي؟
- وقد تضافرت جملة من العوامل والأسباب في توجيهنا نحو اختيار هذا الموضوع، بهدف الكشف عن سرّ جمالية التوازي الصوتي في القرآن الكريم، نحددها في الاعتبارات التالية:
- إيماناً بأن البحث في هذا الموضوع من أنبل ما يُصرف فيه طالب العلم وقته وجهده، لصلته بكلام الله تعالى.
- يقيناً بأن القرآن الكريم هو خير مجال لاكتشاف جمال أصوات اللغة العربية، باعتباره المصدر الأول والأسمى لها.
- الرغبة في دراسة الجمالية الصوتية في القرآن الكريم بين علم التجويد بوصفه علماً صوتياً تراثياً، والتحليل اللساني المعاصر بوصفه أداة علمية حديثة لفهم الظواهر الصوتية بدقة أعمق.

وعلى هذا تظهر أهمية البحث كونه يهدف إلى:

- ❖ إبراز الجمالية الصوتية للتوازي في القرآن الكريم.
 - ❖ بيان دور علم التجويد في ضبط الظواهر الصوتية وتحقيق الانسجام الصوتي.
 - ❖ توظيف التحليل اللساني المعاصر في دراسة الظواهر الصوتية.
 - ❖ الكشف عن أوجه الانسجام بين الأصوات القرآنية وأثرها في المعنى.
 - ❖ الجمع بين الرؤية التراثية (التجويد) والرؤية اللسانية المعاصرة في دراسة الأصوات القرآنية.
- وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي قصد وصف الظاهرة الصوتية ومقارنتها بين الرؤية التراثية والتناول اللساني المعاصر، والوقوف على مباحث التوازي الصوتي في النص القرآني مع توظيف إجراء الإحصاء، والمقارنة والاستنتاج.

ولتحقيق أهداف الدراسة ارتأينا تقسيم البحث بهذه الصورة : مدخل وفصلين و خاتمة .

وخصصنا المدخل لشرح مصطلحات العنوان ، فبسط المفاهيم المتعلقة كل من تعريف:الصوت والتوازي الصوتي، وعلم التجويد، والتحليل اللساني المعاصر.

الفصل الأول؛ المعنون بـ: "جمالية التّوازي الصّوتي الدّاخلي في القرآن الكريم"، وتم فيه الحديث التكرار الصوتي (المخارج والصفات)، والمقاطع الصوتية، و المماثلة والمخالفة ، مع ذكر بعض النماذج لهذه الظواهر في القرآن الكريم .

وجاء الفصل الثاني؛ في دراسة: "جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم" ، تم التركيز على دراسة الفاصلة القرآنية بوصفها مظهرًا بارزًا من مظاهر التوازي الصوتي، ثم بحث في الحروف المقطعة لما تحمله من خصوصية صوتية وإعجازية لافتة، ثم تطرقنا إلى التناسب الصوتي وتوضيح تجلياته في القرآن الكريم وأثره في تحقيق الانسجام في النص القرآني.

ثم ختمنا بحثنا بجملة النتائج المتوصل إليها؛ أما في ما يخص الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذا البحث، تمثلت أساسًا في تداخل المفاهيم بين علم التجويد والتحليل اللساني المعاصر، وندرة الدراسات الجامعة بينهما ، إضافة إلى صعوبة التطبيق الصوتي على النص القرآني مع الحفاظ على الدقة العلمية، وخصوصية القرآن الكريم الإعجازية التي تتطلب حذرا علميا كبيرا.

و استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع التي كانت لها صلة ببحثي هذا ، التي كان لها أثر بيّن في إضاءة الكثير من جوانب الموضوع وتيسير الإحاطة بقضاياها من أبرزها:

1- النشر في القراءات العشر ، للإمام محمد ابن الجزري .

2- التحديد في الإتيان والتجويد، لابن سعيد الداني.

3- الإتيان في علوم القرآن ، للسيوطي .

4- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي.

5- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، للرافعي .

6- مباحث في اللسانيات، أحمد حساني.

7- التصوير الفني في القرآن ، لسيد قطب.

8- التناسب البياني في القرآن، أحمد أبو زيد.

9- الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي.

وفي الختام حمدا لله الذي وفقني لاختيار هذا الموضوع ، وأعاني على إتمامه ، كما أتقدم بأسمى عبارات الامتنان والتقدير إلى أستاذتي المحترمة ، الأستاذة الدكتورة :خلوف نعيمة، والتي تفضلت بالإشراف على بحثي ، ولم تبخل عليّ بتوجيهاتها السديدة، إذ ظلت تمدّني بالنصح والإرشاد ، فكان لجهودها الأثر البالغ في إنجاز هذا العمل.

إعداد الطالبة : -بوكروشة سارة.

يوم 23 ابريل 2026.



المدخل

"بسط المفاهيم"

تمهيد:

إن المتأمل في خلق الكون يندهش من رفع السماء بلا عمد ، ومن انتظام ما فيها من شمس وكواكب ، ومن استواء الأرض وما عليها من جبال وبحار وأنهار ، وما يعلوها من سحب ، وما ينبت فيها من أشجار على اختلاف ثمارها وألوانها ، وما يدب عليها من حيوانات وتنوعها... إلى غير ذلك من مظاهر الخلق، فكل ذلك يبعث في النفس الإنسانية إحساساً عميقاً بالبهجة والسرور، ويؤنس الروح ويسمو بها ، ويجعل الإنسان يدرك عظمة الخالق وقدرته، سبحانه وتعالى الذي أبدع هذا الجمال في نسق ربّاني بديع.

وهذا الجمال لم يقتصر على خلق الكائنات الحية فحسب ، بل تجلّت عظمتّه في كل شيء أنزله وخلقّه سبحانه وتعالى ، والقرآن الكريم صورة من صور هذا الجمال ، إبداع من إعجاز الخالق بداية من أصواته وألفاظه وتراكيبه ودلالاته وإيقاعاته وقصصه ، ومناسبة بعضها لبعض مناسبة بدون تكلف ولا صنعة إنما بها عن سائر كلام العرب بل وتحداهم وأعجزهم على أن يأتوا بمثله ولو آية منه حتى وإن تعاونوا واجتمعوا على ذلك ، مصدقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ٨٨﴾ [سورة الإسراء : الآية 88].

إن التوازي الصوتي في القرآن يمثل قوة جمالية تدعم الرسالة القرآنية ، فتأخذ السامع في رحلة سمعية تنبض بالمعاني وتستحضر التأمل من خلال الترتيل المدروس والتنغيم الأسر والتوازي الصوتي بين

الكلمات والحروف ، يظهر النص القرآني ككيان حي ينبعث فيه الصوت والمعنى معًا ليخلقا تأثيرًا جماليًا ونفسيًا عميقًا.

في هذا المدخل سنركز فيه على عرض بعض المفاهيم المهمة المرتبطة بموضوع البحث منها: الجمالية، التوازي، الصوت، التحليل اللساني، التجويد.

أولا - الجمالية

(أ) لغة :

كلمة جمالية مأخوذة من الجمال ، والجمال في اللغة عرفه ابن منظور في كتابه "لسان العرب" والجمال: مصدر الجميل والفعل جَمَل: الحسن يكون في الفعل والخلق .¹ "والجمالُ الحسن في الخلق لقوله عز وجل : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ البهاء والحسن، ابن سيده: الجمالُ الحسنُ يكون في الفعل والخلق".²

وجاء في القاموس المحيط: "والجمالُ: الحسنُ في الخلقِ جَمُل، ككَرَّم فهو جميل".³

فالجمال الحسن والبهاء في ظاهر الأشياء وباطنها.

ب- اصطلاحاً:

يختلف تعريف الجمال على حسب الآراء وتعدد المواقف واختلاف النظريات باختلاف أصحابها ، وتباين منابعهم الفكرية .

الجمال في الحياة الإنسانية بصفة عامة: "أنه نظام مطلق من الضرورة، هذا النظام يقتضي موازنة

الكيان البشري كله داخل النفس وفي واقع الحياة".¹

¹ ابن منظور ، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، مصر ، مادة (جمل)، 1119، ص 685

² المرجع نفسه، ص 685.

³ محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ز أبادي، القاموس المحيط، تح محمد الشامي وركريا جابر، دار الحديث ، القاهرة، مادة (جمل)، ص 290.

أما الجمال عند أفلاطون "يشير إلى الواحد المطلق الخير الذي تصدر عنه الصورة المشعة....والخير في هذا الرأي كامن خلف الجميل وهو مصدره، ومبدؤه، كما هو مصدر كل شيء...إذا كان للجمال هذه الطبيعة فإن الوسيلة إلى إدراكه هي الروح."²الجمال عند أفلاطون هو انعكاس للخير، يدرك بالروح والعقل لا بالحواس فقط، فهو جوهر فوق المظاهر المادية.

والجمالية مصدر صناعي نسبة إلى الجمال "يطلق على كل لفظ زيد في آخره حرفان، هما ياء مشددة، بعدها تاء تأنيث مربوطة ليصير بعد زيادة الحرفين اسمًا دالًا على معنى مجرد لم يكن يدل عليه قبل الزيادة وهذا المعنى الجديد هو مجموعة الصفات الخاصة بذلك اللفظ"³قد اتجهت آراء الفلاسفة واللغويين على أن معنى الجمالية، مجال يهتم بمبادئ الفن والجمال وتأثيره النفسي والعاطفي على الإنسان.

- الجمالية القرآنية وآراء بعض الدارسين فيها:

إن الجمالية في القرآن الكريم أرفع وأجلّ، إذ يتجلّى في نظمه المعجز، وبيانه البليغ، وتناسق ألفاظه، وتآلف معانيه، مما يمنحه تأثيرًا عميقًا في النفس والعقل، ويجعله مصدرًا للهداية والجمال في آنٍ واحد.

¹ محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، ط6، بيروت، لبنان، 1983، ص92.

² د عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، ط3، 1974، ص41.

³ عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ج3، ط8، 1987، ص187.

"فالظاهرة القرآنية ... ربانية المصدر تتّوج بـ (الإعجاز البياني) الذي تحدّى العرب بياناً، وتحدّى الناس شريعةً ونظاماً، وهي تتحدّى الجمالين في روائعه وجمالياته ودراسة الجمالية في القرآن ذات جوانب متشابكة فهي :

- منطلق ووجود حضاري لأقدس وأعظم سجل حضاري في الوجود.
- اتجاه أدبي وفني رائد يغني الموضوعات الكونية والإلهية بأبهى الصور الأدبية والفنية الرائعة.
- منحى تربوي يلبي حاجات الإنسان الجمالية ، ويصيغه بالشخصية المسلمة على نمط جامع ومتميز فريد.¹

إنّ تأثر سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - بسماعه القرآن ودخوله الإسلام بعد ذلك ، لخير دليل على قوة تأثير القرآن في النفوس²، الأمر الذي جعل جلّ العلماء على الإقبال عليه إقبالاً غير مسبوق ، فتدارسوه بتأمل عميق ، واستخرجوا منه درراً ثمينة أسهمت في إثراء الدراسات البلاغية القرآنية إثراءً لا نظير له.

قد اتجهت آراء الباحثين في تناول الجمالية في القرآن اتجاهات مختلفة ، فمنهم من عزا الجمال كلّهُ إلى المفردة ومنهم من رده إلى نظام التأليف³، والأقرب في اعتقادنا أن النّظم هو الأقدر على

¹ ينظر: نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنيرة، جدة السعودية، ط1، (1412هـ، 1991م)، ص 6-

² ينظر : عبد السلام هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام ، شركة الهضاب، الجزائر، دط، ص 69

³ ينظر: حسين جمعة، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية) ، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، 2002م، ص 47.

إبراز الجمال وإظهاره فحبات العقد لا قيمة لها منفردة ، وإنما تتجلى قيمتها وجمالها حين تنتظم في نسق متناسق ، فتتآزر عناصرها لتكشف عن رونقها وتُظهر بهاءها.

ثانيًا - التّوازي الصّوتي:

قد آثرنا في هذه الدراسة استعمال مصطلح "التّوازي" بدلاً من "الإيقاع" عند مقارنة النص القرآني ، تأدّبًا مع القرآن الكريم ، ووعيًا بخصوصية خطابه وتميّزه عن سائر الأجناس الأدبية الأخرى ، لا سيما ما اتصل منها بالمجال الشعري والموسيقي ، إذ يتيح "التّوازي" وصفًا أدق لمظاهر الانسجام الصّوتي والتركيبية داخل النصّ، بما يكشف عن جماله من داخل بنيته، دون إخضاعه لمقاييس خارجية.

يعدّ التّوازي أحد القوانين الأساسية التي يقوم عليها الإيقاع؛ حيث يتجلى في تكرار البنى الصوتية والتركيبية، محدثًا بذلك انسجامًا موسيقيًا داخل النص القرآني؛ مما يكسبه قوةً وتأثيرًا في الأداء .

أ) التوازي لغة:

من مادة (وزي) ، جاء في المعاجم العربية بمعانٍ متعددة ومختلفة فهو يدل على تجمّع في شيءٍ وتقبضه، ووَزِي: من أسماء الحمار ، ويقال للرجل القصير وَزِي والمستوزي: المنتصب المرتفع، ووَازَى ظهره إلى الحائط أسندهُ ، ووَزَى فلانًا الأمر غاض هو الوزِي: الطيور، والموازة: المقابلة والمواجهة.¹

¹ ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق، مادة (وزي)، ص 4829

والذي يهمننا من هذه المعاني المقابلة والمواجهة ، وفي حديث صلاة الخوف : فوازينا العَدُوَّ وصافيناهم:الموازاة :المقابلة والمواجهة ، قال الأصل فيه الهمزة ، يقال:آزَيْتُهُ إِذْ حَازَيْتُهُ.¹

لم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم ، لكنها وردت في الحديث النبوي الشريف ، فجاءت في مواضع كثيرة ومنها ما رواه النسائي في سنته عن ثعلبة بن زهدم قال: "كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان، فقال: أيكم صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فقال حذيفة:أنا ، فقام فصف الناس خلفه صفين ، صفًا خلفه وصفًا موازيَّ العدو...."²، أي أنها لم تخرج عن معنى المقابلة والمواجهة ، الذي يقودنا إلى البحث عن المعنى الاصطلاحي له والتفصيل فيه.

ب)التوازي اصطلاحاً:

- عند القدماء:

تعدد المفهوم الاصطلاحي للتوازي بين العلماء القدماء والعلماء المحدثين. فظهر مصطلح التوازي الصوتي عند القدماء في شكل إشارات خاطفة اقتصر على تعريفه والتمثيل له ، كما ظهر في ثانيا تعريف مصطلحات أخرى تترابط معها في خصائص معينة ومن ذبك ما جاء مع قدامة بن جعفر(ت337هـ) في قوله: "وأحسن البلاغة :الترصيع والسجع واتساق البناء واعتدال الوزن واشتقاق لفظٍ من لفظٍ وعكس ما نظم من بناء، وتلخيص العبارة بألفاظٍ مستعارة و إيراد

¹ ينظر: نفسه ، ص4830

² ينظر:زهير الشاويش، صحيح السنن النسائي، مكتب التربية العربي دول الخليج، ط1، (1409هـ، 1988م)، ص334

الأقسام موفورة بالتمام ، وقال في حديثه عن تصحيح المقابلة: فيؤتى في الموافقة بالموافقة،

وفي المضادة بالمضادة ...¹

لم يحدد قدامة بن جعفر مفهوم التوازي بل ذكره تبعاً لمصطلحات أخرى ، تحدث معمماً عن البلاغة وذكر قوانين تتعلق بالمعاني.

ذهب أبو هلال العسكري (ت 395هـ)، وابن الأثير (ت 637هـ)،
والنويري (ت 733هـ)، والقزويني (ت 739هـ)، والطبرسي (ت 743هـ)،
والعلوي (ت 735هـ)، وابن القيم إمام الجوزية (ت 751هـ)،
والسيوطي (ت 911هـ) إلى أن التوازي قسم من أقسام السجع.

قال النويري: "والسجع أربعة أنواع وهي: الترصيع ، و المتوازي ، والمطرف ، والمتوازن "، أما المتوازي : فهو أن يراعي في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الأخير منهما ،

كقوله عز وجل: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۖ ۝١٤﴾ [الغاشية: الآيتين

13 و 14]²، إن الأهم في هذا القول أنّ المتوازي يؤدي نفس الوظيفة في النثر أو الشعر ، نظراً

لامتلاكهما الوظيفة الجمالية نفسها الناجمة عن التجانس الصوتي واتفاق الفواصل في الحرف الأخير .

¹ أبي الفرج قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ ، ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، 1399هـ ، ج3، ص202.

² ينظر : شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب، القاهرة، مصر، ط1، (1374هـ، 1929م)، ج7، ص 104.

أما أبو هلال العسكري فقد استعمل التوازي في استعمالين: الأول بمعناه اللغوي (المقابلة والمواجهة)، قال أثناء حديثه عن المقابلة:¹

أَسْرَنَاهُمْ وَ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُمُ الثَّرَابَا.

فَمَا صَبَرُوا لِبَاسٍ عِنْدَ حَرْبٍ وَلَا أَدَّوا الْحُسْنَ يَدٍ ثَوَابَا.

فجعل بإزاء الحرب إن لم يصبروا وبإزاء النعمة إن لم يثبتوا فقابل على وجه المخالفة.

أمّا الاستعمال الثاني للتوازي كونه جزءاً من السجع، ولكنه حاول أن يتوسع في مفهوم التوازي فجعله مرادفاً للتعادل ومن ذلك قوله:السجع على وجوه فمنها أن يكون الجزءان متوازيين متعادلين لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرفٍ بعينه... كما شرح التعادل بالتساوي في قوله:"فهذه الأجزاء متساوية لا زيادة ولا نقصان فيها والفواصل على حرفٍ واحد...وبعد ذلك شرح التساوي بالتوازي في قوله: هذه الفواصل متوازية لا زيادة في بعض أجزائها على بعض ، بل في القليل منها والقليل مغتفر وإن أمكن أيضاً أن تكون الأجزاء متوازية كان أجمل وإن لم يكن ذلك فينبغي أن يكون الجزء الأخير أطول .²

فهو يساوي بين التوازي والتعادل والتساوي والازدواج استعمالاً واحداً.

¹أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الحياء الكتب العربية، ط1، (1371هـ-1952م)، ص339.

²ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين، مرجع سابق، ص 463، 464.

وتبع ابن الأثير العسكري في استعمال التوازي بمعنى التساوي في قوله: "فما جاء من هذا النوع منشوراً قول الحريري في مقاماته، فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه" فإنه جعل الألفاظ الفصل الأول مساوية لألفاظ الفصل الثاني وزناً وقافية، فجعل (يطبع) بإزاء (يقرع)، و(الأسجاع) بإزاء (الأسماع)، و(جواهر) بإزاء (زواجر) و(لفظه) بإزاء (وعظه).¹

وأطلق ابن أبي الأصبع المصري (ت645هـ)، على هذه الظاهرة مصطلح المماثلة وعرفها بقوله: "هي أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها في الوزن دون التقفية"²، ومثل ذلك من قول الله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۚ ۝۲ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝۳﴾ [الطارق، 2 و3]. فالطارق والثاقب وحافظ متماثلات في الرّنة دون التقفية.

وكانت نظرة الكفوي (ت1094هـ) للتوازي مختلفة عما سبقه فلم يجعله قسمًا من أقسام السجع وإنما نظر إليه على أنه اتفاق الشيعين في الخاصة، كما أن المشابهة اتفاقهما في الكيفية، والمساواة اتفاقهما في الكمية، والمماثلة اتفاقهما في النوعية، والموازاة اتفاقهما في جميع المذكورات³. مما سبق نجد أنهم اتفقوا على أن التوازي اتفاق الفاصلتين الأخيرتين في الوزن والتقفية.

¹ ينظر: ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة العرب، ج1، ص 398

² عبد العظيم أبي الأصبع المصري، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حنفي محمد شرف، القاهرة، 1963م، ص297

³ ينظر: أبي البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، (1419هـ، 1998م)، ص 843

- عند المحدثين:

أمّا التوازي في الدراسات العربية الحديثة فقد شهد تطوراً في المفهوم واتساعاً وأخذت القافية والسجع يكونان جزءاً منه، وعدّه بعضهم قانوناً من قوانين الإيقاع¹. فالتوازي عندهم: "تعادل فقرات الكلام وجمله كما في النثر المزدوج أو شطري البيت الواحد، من حيث الإيقاع والوزن ، أمّا التوازي فهو أن يستمر هذا التوازن في النص كله، كالذي نجده في القصيدة الشعرية؛ حيث يتكرر إيقاع كل شطر منهما في كل بيت ويستمر حتى نهايتها، بحيث يكون الجناح الأيمن من القصيدة يوازي الجناح الأيسر من حيث الوزن والإيقاع"².

والتوازي قد ينظر إليه باعتباره ضرباً من التكرار لكنه تكرر غير كامل³، وأخذ التوازي يشمل مستويات عدة منها الصوتي والنحوي والبلاغي والمعجمي⁴. بعد هذا العرض نخلص إلى أن التوازي في القرآن الكريم ، ظاهرة فنية تعتمد على تماثل الأصوات أو تقاربها في أجزاء متتابعة من النص ، ممّا يخلق إيقاعاً نغمياً وجرساً موسيقياً يخدم المعنى ويؤثر في نفسية المتلقي.

¹ ينظر: د محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، دار عمار ، ط2، (1421هـ، 2000م)، ص233

² ينظر: د مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، ط1، (1404هـ، 1984م)، ص59

³ ينظر : د أحمد قاسم الزمر، معالم أسلوبية عند ابن الأثير في كتاب المثل السائر، مجلة المورد، ع2، 2002م، ص37

⁴ ينظر: د فاضل ثامر، في إشكالية النقد والحداثة والإبداع ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق ، ط1، 1987م، ص242و243

ثالثاً- الصوت:

تزخر اللغة العربية بين ثنايا حروفها وألفاظها وتراكيبها بثناء فني متميز ، يتجلى في انسجام أصواتها ، وتآلف مفرداتها وتناسق بنياتها التركيبية ، الأمر الذي أكسبها قدرة عالية على التعبير الدقيق والتصوير الجمالي المؤثر.

أ- لغة:

كلمة {صوت} كلمة معروفة مستعملة في كلام العرب ، وقد ذكرت في القرآن في قوله تعالى ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩﴾¹ عرفه ابن منظور في كتابه *لسان العرب*: "الصوت، الجرس، وقد صات يصوت ويصات صوتاً، وأصات، وصوت به: كله نادى ، ويقال صوت يصوت تصويئاً، فهو مصوت، وذلك إذا صوّت بإنسان فدعاه ، فهو صائت، معناه صائح . وكل ضرب من الغناء والجمع أصوات². فالصوت هنا كل ما ينطق ويسمع. كما عرفه قاموس *المحيط*: "صَاتَ يَصُوتُ وَيُصَاتُ : نادى ، كأصات و وصّوت ورجلٌ صات : صيئٌ والصيّئُ بالكسر: الذكْرُ الحسن"³.

¹ سورة لقمان الآية 19

² ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صوت) ، ص 2521

³ محمد الدين يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، مادة (صوت)، تح :انس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2013م، ص 955

ب- اصطلاحاً:

يختلف مفهوم الصوت باختلاف المجال العلمي الذي يدرسه، فهو عند الجاحظ (ت255هـ): "آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولا تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً أو منثوراً إلا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف"¹، ينظر الجاحظ إلى الصوت بوصفه الأساس الذي ينقل به اللفظ إلى السامع ، فهو الأداة التي تُبرز الكلام من حيّز الفكر إلى حيّز السمع ، ووصفه بـ "الجوهر" يعني أن الصوت ليس مجرد عرض زائل وإنما هو كيانٌ محسوس يمكن إدراكه بالحواس ، ولا يتحقق الكلام مهما كان نوعه إلا بظهور الصوت وتقطيعه إلى حروف.

وهو عند إمام العربية ابن جني (ت395هـ) : "عرض يخرج مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والشفيتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً"². يريد ابن جني بهذا التعريف على أن الصوت في أصله ظاهرة ناتجة عن اندفاع النفس يخرج متصلاً غير منقطع ثم تعترضه أعضاء نطق كالحلق والشفيتين فتقطعه فيسمى عندئذٍ حرفاً.

نستخلص من التعاريف السابقة أن الصوت اللغوي العربي مؤسس ومؤصل من كل جوانبه، كما نلاحظ دقة ووعي القدماء في وصف الظواهر اللغوية رغم غياب الوسائل التقنية آنذاك وهو ما

¹ الجاحظ عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ت عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1998م، ج1، ط2،

² أبو الفتح عثمان ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، تحقيق حسن الهنداوي ، دار القلم ، دمشق ، سوريا، ط2، 1993، ج1،

يلتقي في جوهرة مع بعض مفاهيم الدرس الحديث .ويقول الدكتور إبراهيم أنيس : "الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها".¹ يوضح القول أن إدراكنا للأصوات يبدأ بما تتركه من أثر نتيجة اهتزاز الأجسام وانتقال الموجات الصوتية في الهواء ثم معرفة حقيقتها لاحقًا .

ومنه نستنتج أن الصوت عبارة عن ذبذبات تمرّ خلال الهواء ، بعد أن تُصدّر من الحنجرة حتى تصل إلى الأذن التي تستقبلها، تمكن من التواصل اللغوي. ويسمى العلم الذي يعنى بدراسة الصوت بـ "علم الأصوات" . ولما كان هذا العلم يهتم بالأصوات اللغوية اقتضى إلى تفريعه إلى فروع هي :علم الأصوات النطقي، علم الأصوات السمعي ، علم الأصوات الفيزيائي، علم الأصوات الأكوستيكي التجريبي.

علم الأصوات النطقي، الفيزيائي وعلم الأصوات السمعي ولكل خصائصه ومجالاته فالأول ينظر في كفاءات إصدار هذه الأصوات بالإشارة إلى مخارجها و سماتها النطقية والثاني مجاله النظر في الذبذبات التي تحدثها هذه الأصوات في الهواء أما الثالث فيعرض لوقع هذه الآثار في أذن السامع من الناحيتين العضوية و النفسية وقد جرى العرف على تقديم فرع رابع يخضع ما توصلت إليه الفروع الثلاثة الأول للتجريب والتوثيق بواسطة الآلات والأجهزة الصوتية ومن ثم سمي هذا الفرع علم الأصوات التجريبي أو الأكوستيكي.²وعليه نستنتج مما سبق أن علم الأصوات هو فرع من فروع اللسانيات الحديثة ويعنى بدراسة الأصوات اللغوية فيزيولوجيا وفيزيائيا.

¹ د إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة النهضة مصر ومطبعها ، مصر ، ص05

² ينظر: دكمال بشر ، علم الأصوات ، دار غريب للطبع والتوزيع ، القاهرة ، دط ، 2000، ص08

ثالثاً - علم التجويد:

أ - لغة:

التجويد من جَوَدَ، "جَادَ (يجوّد) جُودَةً: صارَ جيّدًا وأجاده غَيْرَهُ وأجوده، وجَادَ وأجَادَ: أتى بالـجيد، فهو مَجْوَدٌ.¹ وجاد الشيء جودةً وجودةً أي صارَ جيّدًا ، وأجَدْتُ الشيء فجَادَ والتجويد مثله...وقد جَادَ جودةً وأجَادَ: أتى بالـجيد"². التجويد في المعنى اللغوي التحسين والإتقان.

ب - اصطلاحاً:

التجويد "عبارة عن الإتيان بقراءة مجودة الألفاظ بريئة من الرداءة في النطق ومعناه انتهاء الغاية في التصحيح وبلوغ النهاية في التحسين"³ يفهم من التعريف أن التجويد ليس مجرد تحسين صوتي شكلي ، بل هدفه صيانة اللفظ القرآني من اللحن و تحقيق الأداء الأمثل الذي يوافق ما نُقل عن أئمة القراءة . وهو ما يؤكده الداني الأندلسي (ت444هـ) في قوله: "إعطاء الحروف حقوقَهَا وترتيبَهَا مراتبَهَا ، ورُدُّ حرفٍ من حروفِ المعجم إلى مخرجه وأصله وإلحاقه بنظيره وشكله ، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته، من غير إسرافٍ ولا تعسفٍ ، ولا

¹ محمد الدين يعقوب الفيروز آبادي، القاموس، مادة (جود) ، ص308

² ابن منظور ، لسان العرب ، مادة(جود)، ص721

³ الإمام محمد ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ت علي محمد الضباع ، ج1، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان،

إفراط ولا تكلف¹، إذن هو إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة مع إعطائها حقوقها، دون زيادة ولا نقصان.

بين شيخنا السيوطي (ت911هـ)، قواعد التجويد في أنها ترجع إلى: "كيفية الوقف، والإمالة، والإدغام، وأحكام الهمز، والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف"²، كل هذه الضوابط العملية تضمن صحة القراءة وحسن الأداء.

والتجويد كما قال ابن الجزري (ت: "حلية التلاوة وزينة القراءة"، وهذه سنة الله تعالى فيمن يقرأ القرآن مجودًا مصححًا كما أنزل، تلذذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يسلب العقول ويأخذ الأبواب"³. من خلال التعاريف السالفة الذكر، نخرج بتعريف شامل للتجويد: علم وفن يهتم بتحسين تلاوة القرآن الكريم، من خلال إعطاء الحروف حقوقها حتى يقرأ كلام الله كما أنزل، فيكون اللفظ متقنًا والمعنى مبينًا واضحًا، فتخشع له القلوب وتطمئن به النفوس.

ثالثا - التحليل اللساني:

¹ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، التحديد في الإتيان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمان، عمان، الأردن، ط1، 2000م، ص68

² الحافظ جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، مجلد 1، ص 282

³ محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية ط1، 1975، ص47

مصطلح "التحليل اللساني"، عبارة عن مركب لغوي يتكون من كلمتين: التحليل و اللسان ، قبل التطرق إلى تعريف اللساني نفسه لابد من فهم كل عنصر على حدة ثم دمجهما للوصول إلى تعريف دقيق للتحليل اللساني .

1- التحليل لغة واصطلاحاً:

(أ) لغة :

"حلّ المكان، وبه يَحُلُّ ويَحُلُّ حَلًّا وحُلُولًا وحَلًّا ، محرّكةً، نادرٌ: نَزَلَ به....وحلّ به: جعله يَحُلُّ"¹. جاء في مادة حلل من كتاب العين للخليل، "وتقول: حَلَلْتُ العقدةَ أحلُّها حلًّا إذ فتحتها فانحلت "². التحليل في اللغة من الحلّ والفتح والتفكيك.

اصطلاحاً:

يعرف التحليل في الاصطلاح بأنه : "منهج عام يراد به تقسيم الكل إلى أجزائه ورد الشيء إلى عناصره"³، أو هو :تحليل النص الأدبي إلى أجزائه المؤلف منها ونقدها"⁴. استناداً إلى هذا القول يجدر بنا القول :

¹ محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، مادة (حلل) ، ص 395

² الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين ، تح:عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط1، 2003، (مادة حلل)، ص 349

³ فخر الدين قباوة، التحليل النحوي أصوله وأدلته، الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة مصر ، ط1، 2002، ص12

⁴ اميل بديع يعقوب ، المعجم المفضل في اللغة والأدب، تحقيق :ميشال عاصمي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، ط1، 1987م، ص364

التحليل هو عملية تفسير وتفكيك الشيء إلى أجزائه المكون منها بغية اكتشاف أسرارهِ، واستخلاص النتائج المترتبة عنه، هذا تعريف عام أما عندما يخص النص الأدبي ، فهو تقسيم النص إلى عناصره المؤلف منها ثم نقدها وتقييمها لمعرفة دورها وأثرها داخل النص .

2- اللسان لغة و اصطلاحاً:

أ- لغة :

جاء في لسان العرب، "اللسانُ :جَرحَةُ الكلام... قال ابن سيده :واللسان المقولُ، يذكرُ ويؤنثُ ، والجمع ألسنة فيمن ذكر مثل حمار و أحمر...لأن ذلك قياسُ ما جاء على فعالٍ"¹ كما جاء في القاموس المحيط، "اللسان :المَقولُ، ويؤنثُ، ج:ألسنة ألسنٌ، ولُسنٌ، واللغةُ، والرسالةُ، والمتكلم عن القوم"².وقد وردت لفظة لسان في القرآن الكريم في كثير من الآيات جاءت في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿لِلسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ١٩٥﴾³ أي نزل به بلغة عربية واضحة المعنى.يعد اللسان أداة للغة، له دور كبير في التحدث والتواصل والتعبير وقد استعمل كآلة دالة على اللغة وهو سبب في حدوث اللغة.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة (لسن)، ص4030

² مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، مادة (لسن) ، ص1470

³ الشعراء الآية 195

يقول بن فارس (ت395هـ) في معجمه مقاييس اللغة "واللِّسَنُ : جودة اللِّسان والفصاحة. واللِّسَنُ: اللُّغَةُ، يقال. لكلِّ قومٍ لِسَنٌ أي لغة .¹ اللسان هو اللغة . يعرفه عالم اللسانيات روبرت مارتن في كتابه مدخل لفهم اللسانيات : "نظام مسجل في الذاكرة المشتركة يمكن من إنتاج متناهية وفهمها"². يشير إلى اللسان يمثل نظام محفوظ في الذاكرة المشتركة بين أفراد مجتمع ما ، يسمح بإنتاج عدد غير محدود من الجمل وفهمها.

أما عالم اللسانيات دي سوسير يعرفه، "اللسان تنظيم اجتماعي يضم الإشارات اللغوية والقواعد النحوية والدلالية ، وهو مفهوم يعارض الكلام"³. يرى أن اللسان يشكل تنظيم تتفق عليه جماعة في تواصلها عبر قواعد موحدة وهو متميز عن الكلام لأنه إنتاج فردي.

مما سبق نستنتج أن لفظ اللسان عند علماء العرب يستخدم بمعنى اللغة وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٤﴾⁴ أي بلغتهم. أما عند علماء المحدثين فيختلف عن استعماله في التراث إلى معنى القوانين التي تضبط استعمال اللغة في مجتمع ما .

¹ أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، 1979م ، ج5، مادة (لسن) ، ص246

² روبرت مارتين ، مدخل لفهم اللسانيات ، تحقيق: عبد القادر الميمري ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2007م ، ص65

³ د اميل يعقوب ، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط1، 1987م ، ص333

⁴ سورة إبراهيم ، الآية 04

ج- مفهوم التحليل اللساني :

انطلاقاً من التعريفين اللغوي والاصطلاحي لكلٍ من "التحليل واللسان" يتبلور مفهوم التحليل اللساني. التحليل اللساني هو تلك الدراسة التي تمس النصوص من خلال تفكيكها إلى عناصرها الأساسية عبر مستوياته المختلفة ، بدءاً من أصغر وحدة وهي الصوت ، وصولاً إلى أعظم مستويات المعنى التي تختفي خلف النص ، وتكون هذه المستويات متحدة فيما بينها بشكل تكاملي يتم احدهما الآخر، يتيح التحليل اللساني للباحث فهماً عميقاً للغة ودورها في تشكيل الرسالة ، كما يعد أساساً لبناء دراسات لغوية تطبيقية قادرة على تفسير المقاصد وإبراز الرسائل التي يسعى النص إلى توصيلها، وفهم الظواهر اللغوية في سياقات مختلفة .



الفصل الأول: جمالية التوازي الصوتي
الداخلي في القرآن الكريم بين علم التجويد
والتحليل اللساني المعاصر .
أولاً: التكرار الصوتي (المخارج والصفات).
ثانياً: المقاطع الصوتية .
ثالثاً: المماثلة والمخالفة.

تمهيد:

يُعد الإيقاع الصوتي صورة للتناسق الفني في القرآن الكريم ، وآية من آيات الإعجاز المتجلي في أسلوبه المتميز ، فالقرآن يحوي إيقاعاً موسيقياً يؤدي وظائف جمالية رفيعة ، ويظهر هذا الجمال في انتظام الحروف ، وترتيب الكلمات ، وعرض المشاهد المتنوعة ، والتجارب المختلفة، كما لو هي حية نراها بالعين المجردة.

أولى علماء التجويد منذ القدم عناية فائقة لضبط النطق وتنظيم التلاوة ، معتبرين أن الصوت لا يقتصر دوره على النطق السليم للحروف والكلمات فقط ، بل يمتد إلى تأطير المعنى وتوجيه الانتباه لمقاصد النص القرآني ، من هذا المنطلق اهتم هؤلاء العلماء بمخارج الحروف وصفاتها ، ومراعاة المقاطع الصوتية وأحكام المماثلة والمخالفة ليضمن سلامة الأداء وحسن التلاوة .

من جهة أخرى ، يتيح التحليل اللساني المعاصر دراسة الإيقاع الداخلي للقرآن الكريم بأسلوب منهجي دقيق ، مستفيداً من مفاهيم الفونولوجيا وذلك في تبيان كيف تسهم تلك الظواهر في تعزيز المعنى وإيضاحه.ومادام هذا الموضوع الذي نحن بصدد دراسته يتعلق بجمالية الإيقاع الصوتي الداخلي للقرآن الكريم فلا مناص من التعرض إلى كل من: التكرار الصوتي (المخارج والصفات)، المقاطع الصوتية ، المماثلة والمخالفة.

أولاً- التكرار الصوتي

التكرار الصوتي من أبرز الظواهر في اللغات عامة والعربية خاصة ، وأحد وجوه الإعجاز القرآني ، لما يزيده على النص من حلاوة وطلاوة تعزز أثره الروحي لدى المستقبل .

أ- لغة :

أخذت كلمة "تكرار" من كَرَّرَ : "الكُرَّ : الرَّجُوعُ ، يقالُ: كَرَّرَهُ وَكَرَّرَ بِنَفْسِهِ ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى ، و الكُرُّ: مصدر كَرَّرَ عليه يَكُرُّ كَرًّا وَكُرُورًا وَتَكَرَّرًا: عَطَفَ وَكَرَّرَ عَنْهُ: رَجَعَ ، وَكَرَّرَ الشَّيْءَ وَكَرَّرَهُ، أعاده مرةً بعد أخرى ."¹ وجاء في قاموس المحيط: "كَرَّرَ عَلَيْهِ كَرًّا وَكُرُورًا وَتَكَرَّرًا: عَطَفَ، وعنه: رَجَعَ وَكَرَّرَهُ: أعاده مرةً بعد أخرى".² منه التَّكَرُّارُ الإعادة والرجوع .

ب- اصطلاحاً:

يعرفه الجرجاني (ت816) "التكرار عبارة عن الإتيان بشيء مرةً بعد الأخرى"³، والتكرُّارُ "أن يأتي المتكلم بلفظٍ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً ، أو يأتي بمعنى ثم يعيده وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني "⁴.

¹ ابن منظور ، لسان العرب، مادة (كرر) ، مرجع سابق ، ص3851.

² الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مادة (كرر) ، مرجع سابق ، ص1406

³ محمد السيد الشريف الجرجاني ، معجم التعريفات ، تحقيق: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة ، القاهرة ، 2004 ،

ص59

⁴ أحمد مطلوب ، معجم النقد العربي القديم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، ط1، 1989، ج1، ص370

يقصد بالتكرار الرجوع والإعادة لنفس العناصر اللغوية شرط اتفاق المعنى، لا يعدُّ التكرار حشوًا لغويًا، وإنما وسيلة فنية مقصودة تؤدي وظائف دلالية وجمالية، ويظهر ذلك جليًا في القرآن الكريم "هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد"¹، فأما ما جاء منه للتهويل والوعيد في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢﴾² وقوله عز وجل: ﴿الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴾³. من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي للتكرار، يمكن لنا تحديد التكرار الصوتي بأنه: إعادة لفظٍ أو معنى أكثر من مرة بنفس العناصر اللغوية، وذلك لتحقيق غاية إيقاعية ومعنوية مقصودة في النص. وتكرار الحرف يعني تكرار الصوت الذي يحمله الحرف في كلمة ما، وقد يجيء التكرار في المخارج والصفات وهذا ما سنقوم بعرضه والتفصيل فيه.

- التكرار الصوتي في المخارج والصفات:

أ- المخارج:

-المخارج لغة: من الفعل خَرَجَ، "المخارج: جمع مَخْرَجٍ، على وزن مَفْعَلٍ بفتح الميم وسكون

الفاء، وهو اسم لموضع خروج الحرف"⁴ المخرج موضع البدء والخروج، منه مخرج الحرف.

¹ ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: د حفني محمد شرف، الجمهورية

العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (585هـ-654هـ) ص374

² سورة الحاقة، الآية 1 و2

³ سورة القارعة الآية 1 و2

⁴ محمد مكّي نصر الجريسي، نهاية القول المفيد في علم القرآن المجيد، تحقيق أحمد علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط4،

2011، ص43

-وفي الاصطلاح:

"هو موضع في آلة النطق يخرج منه الصوت، أو يظهر فيه ويتميز، وموضوع مخارج الأصوات ودراستها من أهم مباحث علم الأصوات اللغوية، وحظي بعناية علماء العربية والتجويد، كما حظي باهتمام الباحثين المحدثين"¹، والمخارج "اسم لمكان خروج الحرف الذي يتميز به عن غيره"² ومن هنا يمكن تعريف المخرج بأنه المحلّ الذي يُنشأ فيه الصوت وتُصنف وفقه الأصوات اللغوية في الجهاز النطقي عند الإنسان، كما يعرف عند الأقدمين ب: (المجرى) أو (المحبس) أما عند الغربيين فيسمى

موضع النطق point d'articulation

تعرف الحروف بمخارجها فمن أتقن مخرج الحرف أتقن لغته، وهو من اهتمام علماء العربية والتجويد لأن تلاوة القرآن متوقفة على إخراج الحرف من مخرجه الصحيح صوتاً له من التحريف، أما اللسانيين المحدثين فالمخارج عندهم أساس الوصف العلمي الدقيق للأصوات، "المخارج للحروف بمثابة الموازين للأشياء تعرف بها المقادير فيصير بها التميز"³. منه المخارج أساس النطق السليم بها يتميز الحرف عن غيره.نورد هنا، تصنيفاً مفصلاً لمخارج الأصوات التي نحن بسبيلها بداية مع القدماء ثم المحدثين.

¹ د غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 2004م، ص83

² علي بن علي أبو الوفا، القول السديد في علم التجويد، مكتبة ابن كثير، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص159

³ علي بن علي أبو الوفا، القول السديد في علم التجويد، مرجع سابق، ص159

1- مخارج الأصوات عند القدماء:

إن دارس الدرس الصوتي العربي من القديم إلى الحديث يجد اختلافًا ملحوظًا في وصف بعض الأصوات ، سواء أكان ذلك على مستوى الصفة أو المخرج وهذا الاختلاف "عادة ما يكون ناتجًا عن حالة التطور الطبيعي الذي تخضع له جميع اللغات الإنسانية تحت تأثير عوامل معينة"¹، هذا معناه أن التغير بين الأولين والمعاصرين ناتج عن التطور الطارئ على اللغة الإنسانية .

افترق علماء العربية والقراءات في تحديد مخارج الحروف وبيان عددها ، "ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن الجزري على أنها سبعة عشر مخرجًا، وذهب سيبويه والشاطبي، إلى أنها ستة عشر مخرجًا، وذهب قطرب والجزمي وابن كيسان وابن زياد والقراء إلى أنها أربعة عشر مخرجًا"².

أجمع علماء العربية والتجويد على ترتيب المخارج وفق ترتيب سيبويه على أنه ترتيب صائب و دقيق، فقد تابعه أبو عمرو الداني(ت575هـ) "إذ هو الصحيح المعقول عليه"³، كما أحرز ذلك الترتيب إعجاب المحدثين فقد قال المستشرق الألماني أرتور شاده عن سيبويه "بلغ في تعيين مواضع الحروف ومخارجها من الصحة والدقة ما يعسر علينا الزيادة والإصلاح ، وإن كانت عباراته تحتاج في

¹ ينظر د أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، دبي ، الكرامة، ط2، 2013م، ص 203

² محمد مكّي نصر الجريسي، نهاية القول المفيد في علم القرآن المجيد، ص48

³ أبي عمو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي ، التحديد في الإتقان والتجويد ، تحقيق د غانم قدوري الحمد، دار عمان، ط1، 2000م، ص 102

بعض الأمكنة إلى التفسير¹. ومن هنا كان اعتمادنا تصنيف المخارج اللغوية عند القدماء وعلى رأسهم سيبويه ، أساسًا لهذا العرض وهو على النحو الآتي:

- مخارج الأصوات في كتاب "الكتاب" لدى سيبويه:

يقول سيبويه: ولحروف العربية ستة عشر مخرجًا:²

- الحلقية ثلاثة :
- أقصاها مخرجًا: الهمزة ، الهاء ، الألف.
- من وسط الحلق: العين ، الحاء .
- أدنى الحلق: الغين ، الخاء.
- أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى : القاف
- أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك الأعلى: الكاف
- وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى : الجيم ، الشين ، الياء.
- أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس: الضاد
- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما فُويقَ الثنايا النون
- ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً: الراء

¹د غانم قدوري الحمد ، المدخل إلى علم أصوات ، ص83-84

²ينظر، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الجزء الرابع ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، ص433-434

- ممّا بين طرف اللسان و أصول الثنايا : الطاء ، الدال ، التاء
- ممّا بين طرف اللسان و فُوقَ الثنايا : الزاي ، السين ، الصاد
- ممّا بين طرف اللسان و أصول الثنايا : الظاء، الذال، الثاء
- وممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العلّى : الفاء
- وممّا بين الشفتين : الباء ، الميم، الواو
- من الحياشيم : النون الخفيفة .

2 - مخارج الأصوات عند المحدثين:

تتميز الدراسات اللسانية المعاصرة بالدقة العلمية ، لاعتمادها على الأجهزة والوسائل التقنية في تحليل الأصوات ، مما أدى إلى تقارب آراء الباحثين في تحديد المخارج و حصرها في عشرة مخارج ، وهنا انتقلت الدراسة الصوتية من الملاحظة المجردة إلى التحليل والتفسير العلمي الدقيق، هذا ما نهضَ بها نحو العلمية والموضوعية في الطرح بعيداً عن الوصف الذاتي الحدسي.

توجد آراء كثيرة لتحديد المخارج وتوضيحها لكنها لا تخرج عن هذا التحديد الذي نحن بصدد عرضه ، فقط في نقصان مخرج أو زيادته أو تفصيلات جزئية لا تعبر عن أفكار جديدة ، ممّا لا يتطلب عرضها بالتفصيل ، تمكنا من الاستقرار على هذا التصنيف وهي¹:

1. الشفوية (bilabiales): ميم، باء، واو. يتحقق هذا المخرج باقتراب الشفتين.

¹ ينظر، محمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ص 206-207

2. شفوي أسناني (labio-dentale): الفاء. يتحقق هذا المخرج باتصال طرف اللسان بالأسنان .

3. بين الأسنان (Interdentales): الظاء ، الدال ، الثاء. حينما يوضع اللسان بين الأسنان العليا والسفلى .

4. الأسنان اللثوية (Apicale-alvéolaires): الضاد، الدال ، الطاء ، التاء ، الزاي الصاد، السين . يحدث عند اتصال طرف اللسان بالأسنان العليا ، أو مقدمة اللسان اللثة.

5. اللثوية (Alvéolaire): اللام، الراء ، النون. يحدث عند اتصال اللسان باللثة العليا مباشرة.

6. الغارية (Prepalatales): الشين، الياء، الجيم. يحدث عندما يتصل سطح اللسان بالجزء الأمامي من الحنك

7. الطبقيّة (Vélaires): الكاف، الغين ، الخاء. يتحقق عندما يتصل سطح اللسان بالطبق.

8. اللهوية (Postpalatale): القاف. يقع عندما يتصل سطح اللسان بمؤخرة الحنك.

9. الحلقيّة (Pharynagales): العين، الحاء . يحدث عند تقلص جدران الحلق.

10. الحنجريّة (Laryngales): الهمزة ، الهاء . يكون عند توقف حركة الوترين الصوتيين ، وتقلص الغشاء الداخلي للحنجرة.

يلاحظ من خلال ما سبق ذكره ، وكمقارنة بين علماء اللغة و علماء التجويد وعلماء الأصوات المحدثين أن هذا الأخير اعتمد في دراسة تحديد المخارج من الخارج (الشفيتين) إلى الداخل (الحلق) أما الآخر فقد كان ترتيبه على عكس ذلك.

أما فيما يخص موقف العلماء المحدثين في تصنيف المخارج عند القدماء فقد كان : "ولقد خلط النحاة العرب خلطاً كبيراً في تحديد هذه المخارج ، وحسبك أن ترى ابن الجزري يفاضل بين الآراء المختلفة في تحديد عدد منها ، حتى إذا عد سبعة عشر مخرجاً"¹ يفهم من القول، اختلف العلماء في تحديد المخارج اختلافاً بيّناً ، وسبب هذا التفاوت هو اختلاف مناهجهم في الوصف الصوتي ، فمنهم من وسّع التفرع فبلغ بها سبعة عشر مخرجاً كالمخارج عند ابن الجزري، ومنهم من دمج بعض المخارج المتقاربة فجعلها أقل من ذلك.

ب- الصفات:

بعد دراسة مخارج الحروف انتقل العلماء القدامى والمحدثون في خطوة موالية لذكر صفاتها، وهذا يتم بوعي صوتي كبير فالصفات تتميز الأصوات المنتمية لنفس المخرج.

أ - لغة :

الصفات جمع صفة وهي "ما قام بالشيء من المعاني ولا يكون من حقيقته ، والصفة للحرف كالناقد البصير، كالعلم والصفحة والسواد وهي المعاني الحسية والمعنوية"² فالصفة أمرٌ يعرضُ للشيء ويلازمه أحياناً لكن ليست جزء منه ، فالشيء يمكن أن يوجد دون صفته لكن لا يمكن أن يوجد دون حقيقته .

¹ د تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، 1990، ص85

² علي بن علي أبو الوفا ، القول السديد في علم التجويد، ص185

ب- اصطلاحاً:

اتفق علماء اللغة والتجويد على تسمية ما يلزم تكوّن الصوت في مخرجه من أنشطة أعضاء النطق المختلفة بالصفات ، ويعرفونها بأنها: "كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج من الجهر والرخاوة والهمس والشدة ونحوها، وبذلك يتميز بعض الحروف المتحددة في المخرج عن بعض"¹. وعليه الصفات هي الخصائص الصوتية الملازمة للحرف والتي تميزه عن غيره و للصفات فائدتان الأولى "وهي تمييز الحروف المشتركة في المخرج ، ولها فائدة أخرى ، وهي تحسين لفظ الحروف المختلفة الخارج"². انطلاقاً من هذه المعطيات ، يظهر أن الصفات الصوتية هي : السمات الملازمة للحرف بعد خروجه من مخرجه والتي تميزه عن غيره وتضمن نطقه الصحيح.

كما تنقسم هذه الصفات إلى صفات قوة وصفات ضعف ، فصفات القوة : الجهر والشدة، والاستعلاء ، والإطباق ، والقلقلة ، والصفير ، والتكرار، والتفشي والاستطالة و صفات الضعف: الهمس، والرخاوة، والاستفال، والانفتاح ، واللين والهاوي"³، وهناك من العلماء ما يقسمها إلى صفات لها ضد كالجهر والهمس وصفات لا ضد لها كالصفير، التفشي ، التكرار "اعلم أن الصفات السبعة عشر تنقسم إلى قسمين قسم له ضدّ وهو خمسة.... وقسم لا ضدّ له وهو سبع"⁴.

¹ محمد مكّي نصر الجريسي ، نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، ص 63

² الحسن بن قاسم ابن أم قاسم المرادي ، شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد ، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة المنار ، الزرقاء الأردن (1407هـ-1987م) ، ص 53

³ نفسه، ص 53

⁴ الشيخ محمد مكّي نصر الجريسي ، نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد ، مرجع سابق ، ص 64

1- صفات الأصوات عند القدامى:

اهتم الأقدمون بتصنيف الأصوات اهتمامًا متوازنًا بين مخارجها وصفاتها السمعية ، فالأصوات تخضع من حيث صفاتها إلى التوزيع الآتي:

أ- الصفات التي لها ضد:

1- **الجهر والهمس** : فأما الجهر "حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت ...إلا أن النون والميم قد يُعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة"¹ وحروفه تسعة عشر حرفاً (أ، إ، ع، غ، ق، ج، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و،)، وهو من صفات القوة ، أما الهمس "فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّفس معه"² وهي عشرة حروف مجموعة في (سكت فحثه شخص) وهي من صفات الضعف.

2- **الشدة والرخاوة وما بينهما (التوسط)**: "والشديد هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"³ فالشديدة وهي ثمانية يجمعها قولك: (أجد قط بكت) والشدة من صفات القوة .ومنها الحروف الرخوة "جريان الصوت عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على مخرجه ، فهو أضعف من الشديد

¹ سيبويه ، الكتاب، ج 04، ص434

² نفسه ، ص ن.

³ فريال زكريا العبد ، الميزان في أحكام تجويد القرآن ، دار الإيمان ، اسكندرية، 2005م ، ص73

ألا ترى أنك تقول (أس، أش) فيجري النفس معهما¹. وحروفه بقية الحروف ماعدا الشدة والتوسط. والتوسط "انحباس بعض الصوت ، وجريان بعضه عند النطق بالحرف لاعتدال مخرجه " وحروفه ثمانية مجموعة في (لن عمر).

3- الاستعلاء والاستفال: الاستعلاء "ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى حتى يمتلئ الفم بصداه ، لذا ترتب على الاستعلاء التفخيم"² حروفه سبعة مجموعة في (خص ضغط قظ). والاستفال "تنحيف الحرف بانخفاض اللسان عند النطق به"³ وحروفه ماتبقي من بعد حروف الاستعلاء

4- الإطباق والانفتاح : الإطباق "التصاق بعض اللسان بالحنك الأعلى وانحصار الصوت بينهما"⁴ حروفه أربعة وهي : (ص، ض، ط، ظ) أما الانفتاح "هو افتراق اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فلا ينحصر الصوت بينهما"⁵ وحروفه بقية الحروف ما عدا حروف الإطباق الأربعة.

ب- الصفات التي لا ضد لها :

1- الصفير : "وهي ثلاثة الزاي والسين والصاد ، سميت بذلك لأن الصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير ، والصفير من علامات القوة"¹

¹ فريال زكريا العبد ، الميزان في أحكام تجويد القرآن ، ص 73

² نفسه، ص ن.

³ فريال زكريا العبد ، الميزان في أحكام تجويد القرآن ، مرجع سابق ، ص 74

⁴ نفسه، ص ن.

⁵ نفسه ، ص ن.

2- حروف القلقلة: خمسة أحرف وهي مجموعة في (قطب جد) "سُميت بذلك لظهور صوت

يشبه النبرة عند الوقف عليهن وزيادة النطق بهن²

3- التنفسي: وهو الشين "سُميت بذلك لأنها تَفَشَّت في مخرجه عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج

الظاء"³

4- الاستطالة: الضاد "لأنها استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام، وذلك

لما فيها من الجهر والإطباق والإستعلاء، قويت واستطالت في الخروج من مخرجها"⁴.

5- التكرار: الراء "سُمي بذلك لأنه يتكرر على اللسان عند النطق، كأن طرف اللسان يرتعد به"⁵

6- حروف اللين: الألف، الواو، الياء "لأنهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان، لكنهما

نقصتا عن مشابهة الألف لتغيّر حركة ما قبلهما عن جنسهما، فنقصتا المد الذي في الألف، وبقي

اللين فيهما لسكونهما، فشبهتا بذلك"⁶.

¹الإمام محمد بن محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: د علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض ط1، (1405هـ-1985م)، ص 91

²الإمام محمد بن محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، مرجع سابق، ص 91

³نفسه، ص 96

⁴الإمام محمد بن محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، مرجع سابق، ص 96

⁵نفسه، ص 95

⁶نفسه، ص 95

2- صفات الأصوات عند المحدثين:

أما علماء العصر الحديث، فيغلب على طريقتهم في دراسة الأصوات طريقة الغربيين في دراستها وذلك راجع إلى المناهل التي أخذوا منها علمهم وهي جامعات غربية "مما حمل كثير منهم على اختراع مصطلحات غير موحدة أحياناً للتعبير عن مفاهيم صوتية لها في التراث العربي مصطلحات راسخة ومعروفة"¹، فقد تم تقسيمها كما يلي²:

1. **الجهر والهمس**: الأصوات المجهورة (sonores) هي التي يهتز معها الوتران الصوتيان حين النطق بها 13 حرفاً وهي: ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن. أما الأصوات المهموسة فهي على عكس المجهورة، بحيث لا يهتز معها الوتران الصوتيان عند النطق بها 12 حرفاً وهي: ت ث ح خ س ش ص ط ف ق ك هـ.

2. **الشدّة والرخاوة**: الأصوات الشديدة (الانفجارية، الانسدادية) تحدث عند النطق بالحرف وانسداد الممر الصوتي فجأة ثم ينفرج وهي: ب ت د ط ض ك ق ء، والأصوات الرخوة (الاحتكاكية) تحدث حين لا ينغلق الممر الصوتي عند خروج الحرف وهي: (س ز ص ض ذ ث ظ ف هـ ع ح خ غ).

3. **الأصوات المائعة (Liquides)**: هي الأصوات المعروفة عند القدماء بالمتوسطة أو البينية وهي: الراء واللام.

¹ د غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، مرجع سابق، ص 100
² ينظر د محمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 210.211 و ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 25.22

4. الأصوات الأنفية: تتحقق عندما يمر النفس من الممر الأنفي (أصوات الغنة عند القدماء)

وهي : الميم والنون.

5. التفخيم: أثر صوتي يصاحب نطق بعض الأصوات خاصة اللام والراء . وحروفه ص ض ط غ

خ ق ، بالنظر إلى هذه الحروف نجدها تحمل صفة الإطباق عند القدماء وفي علم التجويد يصطلح عليها (الاستعلاء) ، والفرق بين التفخيم والترقيق في الرنين الذي يصاحب الحرفين .

بعد الاطلاع على دراسة الأصوات العربية من حيث الصفات وخاصةً مناهج علماء التجويد واللسانيين المحدثين يميل البحث إلى اعتماد منهج علماء التجويد لأن هذا المنهج يقوم على أسس صوتية محضة ، ويفصح عن فهم صحيح للصفات الأصوات وخصائصها ، ويعرضها على أساس خطة محكمة شاملة ، تحقق متطلبات المنهج العلمي في بحث ، وتحافظ على منجزات علماء السلف.

• نماذج من التكرار الصوتي في القرآن الكريم وعلاقته بالمعنى:

1- قال الله تعالى في سورة مريم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا

٨٣¹، الأزيز في الأصل معناه التهيج وشدة الإزعاج: أي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها

¹سورة مريم ، الآية 83

بالوساوس والتسويلات¹، والزاي المشددة في الموضعين مصورة بما فيها من جرس صوتي لمعنى الشدة و

الإزعاج وهي متناسبة مع معنى الآية لما يفعله الشيطان للكفار ، حيث يوسوس لهم بكل رذيلة .

2- قال عز وجل في سورة القمر: ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرُ ٤٦ إِنَّ

الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عُلُوْجُوْهُمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ

٤٨﴾². نلمح تكرار لصوت السين موزع على ألفاظ الآيات المذكورة (الساعة، سحر، يسحبون،

مسّ، سقر) وهذه الأصوات طغت دون سواها ، والسين من صفاتها الهمس والصفير والضعف مما

يساهم في التجانس الصوتي مع الحفاظ على المعنى الذي يتمحور حول أهوال الساعة وأحوالها.

3- قال سبحانه وتعالى في سورة الحاقة: ﴿الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣

﴾³ نلاحظ تكرار حرف القاف ، فحرف القاف المشدّد لما فيه من قوة في النطق والسمع يدل على

شدة الأمر يوم القيامة ، وأن كل إنسان سيوفى حقه جزاءه كاملاً ما له وما عليه.

4- وقوله كذلك في سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ

أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

مَتَاعٌ غَرُورٌ ١٨٥﴾⁴ وهنا اتحاد الصوتين الزاي والحاء وتكرارهما دالٌّ على معنى السلامة من الأذى

والنجاة من الهلاك. والملاحظ أن التكرار لحروف اللفظة وما يتبع ذلك من جرس موسيقي له أثر في

¹ العلامة جابر الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ، تح: الشيخ عادل

وآخرون، مكتبة العبيكة، ج4 دط ، دس، ص54

² سورة القمر، الآيات 46، 47، 48.

³ سورة الحاقة ، الآية 1 و2

⁴ الزمخشري، الكشف ، ج1، ص670

المعنى .ويؤدي التكرار وظيفة نفسية بارزة ، وذلك حين تتداخل المشاعر ، وتزدحم العواطف المثارة، بحيث لو حذف المكرر لأصبح التعبير مبتورًا .

وخلاصة ما يمكن قوله في قضية التكرار الصوتي ، بأنه أسلوب فني ودلالي عميق ، يتجاوز التكرار اللفظي إلى بناء نظام صوتي متكامل ، يجمع بين الجمال الموسيقي والتأثير النفسي والدقة الدلالية ، مما يجعله عنصرًا أساسيًا من عناصر الإعجاز القرآني.

ثانيا- المقطع الصوتي: syllable

1-المقطع:

أ- لغة :

كلمة المقطع لغة من قَطَعَ وهو "الْقَطْعُ إبانةُ بعض أجزاء الشيء من بعض ، يقال : قطعه قطعًا ، وقطعه واقتطعه والقطع ، وتقطع بتشديد الطاء للكثرة ، قال تعالى ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رُجْعُونَ ٩٣﴾ أي تفرقوا في أمرهم ¹ وقوله تعالى ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ١٦٨﴾ ² أي قسمناهم "والمقطع غاية ما قُطِعَ.يقال: مقطّع الثوب ، والمقطع: الموضع الذي فيه النهر من المعابر ، ومقاطع القرآن : مواضع الوقوف ومبادئه: مواضع الابتداء" ³ ووردَ في قاموس

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ص3674

² سورة الأعراف ، الآية 168

³ ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، مادة (قطع) ص3675

المحيط "قطعه ، كمنعه قطعاً ومقطعاً وتقطعاً، بكسرتين مشددة الطاء ، أبانه، وفلاًناً بالقطع: ضربه¹ به —وبالحجة بكنه كأقطعه ، ولسانه أسكته بإحسانه إليه "¹ .

وبهذا يدل المقطع لغة على موضع القطع أولاً ، والجزء من الشيء بعد فصله ثانياً من الأجزاء التي يتركب منها .

ب- المقطع اصطلاحاً :

إنَّ الإحاطة بمفهوم المقطع الصوتي في الاصطلاح ، بوصفه وحدة أساسية في البنية الصوتية اللسانية، خاصة النظام العربي ، تقتضي العودة إلى الجذور الأولى لهذا المفهوم في التراث اللغوي القديم، وإن اختلفت زوايا النظر وتعددت المصطلحات الدالة عليه ، فبدت أحياناً متكاملة وأحياناً متباينة حسب المنهج المتبع.

يُعد الفارابي(ت339هـ) أول من تطرق إلى المقطع الصوتي وعلى أن التسمية من وضعه هو وذلك فيما ذكره في كتابه *الموسيقى الكبير* في قوله "كل حرف غير مصوت اتبع بمصوت قصير قرن به ، فإنه يسمى (المقطع القصير) ، والعرب يسمونه الحرف المتحرك ، وكل حرف غير مصوت قرن بمصوت طويل ، فإننا نسميه المقطع الطويل "².

¹ الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، المرجع السابق، مادة (قطع)، ، ص1339

² أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ، الموسيقى الكبير، تح : غطاس عبد الملك خشبة ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، دط، دت، ص1075

لم يفرد علماء التجويد للمقطع الصوتي بابًا مستقلًا بالمفهوم الاصطلاحي الذي استقر عليه في الدرس اللساني ، غير أن ذلك لا يعني غياب الوعي ببنيته ووظيفته في العربية فقد تناولوا قضاياها ضمن مباحث متفرقة ضمن مباحث متفرقة تتصل بالأداء الصوتي وضبط التلاوة كأحكام المد ، والوقف والابتداء والتقاء الساكنين والإدغام والإظهار ، تكشف هذه المباحث عن إدراك ضمني للمقطع "لا نجد له وجود في كتب علماء التجويد على الرغم من عنايتهم الكبيرة بالجانب الصوتي للغة ، إلا أن علم العروض هو العلم الذي يتصل بهذا المصطلح"¹. من اللافت للنظر أنه لا يوجد تعريف واحد متفق للمقطع يمكن اعتماده لدراسة أنماطه وكيفيات تركيبه في كل اللغات لقولهم: "ومع ذلك فإن تعريف المقطع أمر عسير"².

■ يمكن أن يعرف على حسب الأولون الآخذون بالجانب النطقي على أنه "خفقات صدرية في أثناء الكلام"³، "ويستطيع الدارس أن يضع كفه على أسفل صدره وينطق بكلمة كتبت نطقًا مُتَأَنِّيًا و سوف يحس بضغوطات الحجاب الحاجز على الصدر ، وهي ثلاث تقابل مقاطع الكلمات"⁴.

■ وفريق ثاني يعرفه على حسب الجانب السمعي للكلام ، بأنه "تتابع من الأصوات الكلامية ، له حد أو قمة إسماع طبيعية تقع بين حدين أدنيين من الإسماع"⁵.

¹د عبد العزيز الصيغ ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، دار الفكر ، دمشق ، ص275

²جوزيف فندريس ، اللغة ، تعريف: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص 85

³د تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة دط ، 1990م ، ص138

⁴د غانم قدوري الحمد ، المدخل إلى علم أصوات العربية ، ص 190

⁵د أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص 284

يرى هؤلاء أن المقطع عند النطق يبدو أوضح وأكثر تأثيراً على السمع "إذ هو يمثل قمة الوضوح لاشتماله عادةً على الحركة vowel، والحركة كما هو مقرر تمثل قمة الوضوح السمعي بالنسبة لسائر الأصوات".¹

لجأ الثقات من الدارسين إلى معيار آخر أدق وأقرب إلى تعريف المقطع ، ما يعرف بالمعيار الفونولوجي phonological . "قوام هذا المعيار أمران :

أ (الأول النظر في المقاطع من حيث بنيتها ومكوناتها وكيفيات تتابعها إذ هي - في العادة - تمثل حزمًا أو عناقيد clusters في سلسلة الكلام "²الأمر الأول ينطلق بوصف المقطع وحدة صوتية لها نظام خاص لا مجرد جزء عشوائي من الكلمة .

ب) "الثاني أن يتم ذلك في كل لغة على حدة حيث أن لكل لغة خواصها ومميزاتها في تتابع هذه الحزم أو العناقيد ومكوناتها "³.

ويعرفه الدكتور عبد الصبور شاهين "مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي"⁴. ينحو هذا التعريف نحو التعميم فهو يجمع بين الجانبين الوظيفي والنطقي.

¹ كمال بشر ، علم الأصوات ، دار غريب ، القاهرة ، مصر، دط، 2000 ، ص 505

² نفسه، ص ن.

³ نفسه، ص 506

⁴ د عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية اللغوية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (1400هـ-1980م)، ص 38

يتبين من التعريفات السابقة على أنها تكشف جوانب مختلفة للمقطع ، بحسب المنظور المعتمد، وهي تعريفات متكاملة غير متعارضة ، مما يمكن صياغة تعريف جامع يراعي طبيعة المقطع في العربية.

المقطع الصوتي: هو عبارة عن كتلة صوتية تُنتج بضغطة صدرية واحدة ، يمكن أن تنطق منفصلة ومستقلة عما قبلها وما بعدها ، تكون هذه الكتلة مؤلفة من صامت متلو بحركة قد تكون قصيرة وقد تكون طويلة وقد تتبع بعد ذلك بصامت آخر وقد لا تتبع.

2- أنواع المقاطع الصوتية في اللسان العربي:

تختلف اللغات فيما بينها في أنواع المقاطع التي تستخدمها ، فلكل لغة أنواعها وأشكالها المقطعية الخاصة بها ، والعربية واحدة من اللغات لها أنواع من المقاطع خاصة بها ، وإن كانت هذه الأنواع المقطعية ليست متفقة من حيث الشكل والاستعمال والشيوع .

الأنواع المقطعية التي تشترك فيها لغتنا العربية:¹

أ. المقطع القصير: يرمز له (ص ح)

ص نسبة إلى الصامت و ح نسبة إلى الحركة أو الصائت (الطويل أو القصير) ، ومن أمثله المقاطع الثلاثة المتوالية في الفعل الماضي: ضَرَبَ=ض+ر+ب. صح+صح+صح.

¹ ينظر د محمد جواد النوري ، علم أصوات العربية ، جامعة القدس المفتوحة ، ط1، 1996، ص 239

ب. المقطع المتوسط المفتوح: رمزه : (ص ح ح)

يتألف هذا المقطع من صامتٍ متلوٍّ بحركةٍ طويلةٍ أي من : صامت + حركة طويلة .نحو: المقطع

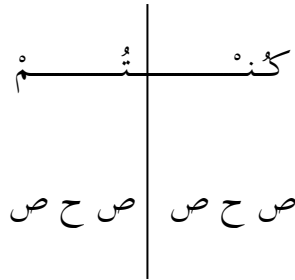
الأول من (عالم)

عالم ← عا /ص ح ح/ (لأن الحركة الطويلة تتكون من حركتين قصيرتين) .

ج. المقطع المتوسط المغلق: رمزه : (ص ح ص)

يتألف هذا النوع من المقاطع من صامتين بينهما حركة قصيرة ، أي من: صامت+حركة قصيرة

+صامت ومثاله أداة الاستفهام :مَنْ والمقطعان المكونان للبنية :كُنْتُم تقطع على النحو الآتي:



د. المقطع الطويل المغلق: رمزه: (ص ح ح ص)

يتركب هذا المقطع من صامتين بينهما حركة طويلة ، أي من: صامت+حركة طويلة +صامت،
نحو: كلمة مَالٌ في حالة الوقف عليها والمقطع الأخير من الفعل المضارع نَسْتَعِينُ عند النطق به في حالة الوقف.

نَسْتَعِينُ
ص ح ص ص ح ص ح ح ص

هـ. المقطع الطويل المزدوج الإغلاق: رمزه: (ص ح ص ص)

يتألف هذا المقطع من صامت متبوع بحركة قصيرة متبوعة بصامتين أي من: صامت + حركة قصيرة +صامتين ، مثاله : بِنْتُ ، شَعْبٌ . في حال النطق ساكنة الآخر أي الوقف عليها .

بِنْتُ

ص ح ص ص

و. المقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق :

رمزه: (ص ح ح ص) ، يشبه هذا المقطع سابقه ، إلا أنه يختلف عنه في أن حركته طويلة ويتألف من : صامت + حركة طويلة + صامتين . نحو : ضَالٌّ ، رَأً

ضَالٌّ

ص ح ح ص ص

يلاحظ أن النوع المقطعي الأخير قد أهمله الكثير من اللغويين وهو: (ص ح ح ص ص)، في المقابل تعد المقاطع الثلاثة الأولى أكثر شيوعاً واستعمالاً في الكلام العربي وهي : (ص ح) و (ص ح ح) و (ص ح ص) ، أما المقاطع المتبقية فقليلة الاستعمال ، ولا ترد إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف عليها¹.

- تحليل مقطعي لسورة قرآنية : سورة الإخلاص²

قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الآية 1

قُلْ / هُـ / وَ لَـ / لَـ / هُـ / أ / حَـ / دُـ /

ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح /

¹ ينظر ، د محمد جواد النوري ، علم أصوات العربية ، مرجع سابق، ص 240

² سورة الإخلاص ، هذا التقطيع مبني على أساس الوقف بالسكون على جميع فواصل السورة .

قال تعالى : ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۚ﴾ الآية 2

ءُ / لَ / ا / هُ / صَ / مَ / ذَ /

ص ح / ص / ص / ح / ح / ص / ص / ح / ص / ح / ص /

قال تعالى : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۚ﴾ الآية 3

لَمْ / يَ / لَ / ذَ / وَ / لَمْ / يُوَ / لَ / ذَ /

ص ح / ص / ص / ح / ح / ص / ص / ح / ص / ح / ص / ح / ص /

قال تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۚ﴾ الآية 4

وَ / لَمْ / يَ / كُنْ / لَ / هُ /

ص ح / ص / ص / ح / ح / ص / ص / ح / ص / ح /

كُ / فُ / وَ / أَ / حَ / ذَ /

ص ح / ص / ح / ص / ح / ص / ص / ح / ص /

من خلال التقطيع يتضح ما يلي¹:

¹ ينظر د غانم قدوري الحمد ، المدخل إلى علم أصوات العربية ، ص 199، و د جواد النوري ، علم أصوات العربية ،

- أطلق الأصواتيون المحدثون على كل نوع من أنواع المقاطع اسما يميزه عن غيره ، كما استعملوا رموزا للدلالة على الأصوات التي يتألف منها وهي مستمدة من : (ص:صامت و ح:حركة .
- يبدأ المقطع في العربية بصوت صامت(جامد) يتبعه صوت صائت(ذائب)، ولا تسمح العربية يبدأ المقطع فيها بحركة أو بصامتين وهو ما كان علماء العربية يعبرون عنه : "لا يبتدئ بساكن".
- أكثر المقاطع وقوعًا ، في الكلام العربي ، هو المقطع المتوسط المغلق(ص ح ص)، ويليه المقطع القصير (ص ح)، على عكس المقاطع الطويلة ووقوعها قليل ولا يكون إلا في حين الوقف .
- تتكون الكلمة العربية من مقطع واحد أو أكثر ، والكلمة المشتقة المجردة تشمل على أكثر من أربعة مقاطع .
- تجيز العربية توالي المقاطع القصيرة (ص ح) والمتوسطة المغلقة (ص ح ص)أما المقاطع المتوسطة المفتوحة (ص ح ح) فتواليها مقيد.

ثالثاً- المماثلة والمخالفة

إن اللغة العربية في تطورها التاريخي عرفت الكثير من الظواهر اللغوية ، ولعل أكثر هذه الظواهر استخداماً ظاهرياً المماثلة والمخالفة ، وقد تناولها العلماء العربية قديماً ضمن مباحث الصرف والتجويد، ودرسها اللسانيين المعاصرين في إطار الفونولوجيا ، لما لها من دور بارز في تيسير النطق وتحقيق الانسجام الصوتي داخل الكلمة والسياق .

1- المماثلة: assimilation

أ- لغة: مثل: كلمة تسوية. يقال هذا مثله ومثله، كما يقال شبهه وشبهه بمعنى، قال بن برى: الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين ، أما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين¹ ومنه المثل هو الشبه .

ب- اصطلاحاً:

المماثلة مصطلح قديم وحديث في آن واحد ، فهي قديمة من حيث المفهوم والتطبيق ، إذ عرفها علماء العربية الأوائل ضمناً عند حديثهم عن الظواهر الصوتية كالإدغام والإبدال والمجانسة وربطوها بتقارب المخارج والصفات ، ولاسيما عند علماء اللغة و التجويد ، وهي حديثة من حيث الاصطلاح والتنظير اللساني ، صيغ مفهومها بدقة في الدرس اللساني المعاصر وأدرجت ضمن مباحث الفونولوجيا.

¹ لسان العرب ، ابن منظور، (مادة مثل)، ص4132

ومصطلح المماثلة وُجد في العربية عند سيبويه تحت تسمية *المضارعة*¹ عقد له باب سماه "باب الحرف الذي يضارع به حرف عن موضعه"¹، ويعني بالحرف الذي من موضعه "الصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال نحو: مَصْدَرٍ ، أَصْدَرٌ، والتَّصْدِيرُ..."² تتضح ظاهرة المضارعة هنا أن إدغام الصاد في الدال أو إبدالهما بحرف يناسب الصاد كالطاء غير ممكن ، عن طريق إدناء الصاد المهموسة بالدال المجهورة كأنك تنطق تزدير .

أما علماء التجويد ، فقد تفتنوا لهذا خشية من أن يصيب الأداء القرآني شيئاً من التغيير والتشويه ، فعنوا بوصف كل حرفٍ وصفاً دقيقاً ، فنجد ابن الجزري (833هـ) في كتابه النشر في القراءات العشر يحذر المتعلمين من التفخيم "والقاف فليحترز على توفيتها حقها كاملاً وليحتفظ مما أتى به بعض الأعراب وبعض المغاربة في إذهاب صفة الاستعلاء منها حتى تصير كالكاف الصماء نحو: خلق كل شيء و خلقكم"³

أما عند المحدثين، عرفها إبراهيم أنيس بقوله "تتأثر الأصوات بعضها ببعض في المتصل من الكلام على أن نسبة التأثير تختلف من صوت لآخر ... والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ليزداد مع مجاورتها، قربها في الصفات أو المخارج، ويمكن أن يسمى هذا التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة"⁴.

¹ سيبويه ، الكتاب، ج4، ص 477

² نفسه ، ص ن.

³ ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، تح علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ص 220

⁴ الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص107.

يفهم من قول إبراهيم أنيس أن الأصوات المتصلة في الكلام تتأثر فيما بينها في صفاتها ومخرجها، ويسمى ذلك المماثلة أو الانسجام الصوتي .

وأحمد مختار عمر عرفها بقوله: "التعديلات التكميلية للصوت بسبب مجاورته ، ولا نقول ملاصقته لأصوات أخرى"¹، منه المماثلة تغيرات الصوت نتيجة تأثره لمجاورته أصوات أخرى .

ويعرفها دانيال جونز D.gones المماثلة بأنها "عملية استبدال صوت بصوت آخر ، تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو في الجملة"²

يفهم من عموم التعريفات ، المماثلة بشكل عام تعبر عن تغيرات في النطق تقع في ظروف معينة، في نهاية أو بداية الكلمات ، أي في حدود الكلمات عندما توجد في كلام متصل أو في مركبات ، بهدف تخفيف النطق وتوازنه .

- أنواع المماثلة :

تنوعت أشكال المماثلة على حسب صور التأثير بين الأصوات ، وصنفها علماء الأصوات وفق اعتبارات متعددة نلخصها في ما يلي³:

¹ د أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1997م، ص 381

² د رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1997م ص30

³ ينظر ، أحمد عمر مختار ، دراسة الصوت اللغوي ، مرجع سابق، ص379

1- المماثلة التقدمية والمماثلة الرجعية : التقدمية progressive، حين يؤثر الأول في الثاني

نحو: ازدجر التي أصلها ازجر ، جهرت التاء تحت تأثير الزاي المجهورة فتحولت إلى مقابلها المجهور هو الدال . والرجعية regressive، حين يؤثر الثاني في الأول وتسمى مُدْبِرَةٌ نحو : اتعد من وعد.

2- المماثلة التجاوزية والتباعدية: إذا كان الصوت المؤثر متصلاً بالآخر مثل تفخيم السين في

سراط ومسيطر تحت تأثير الطاء المفخمة وتسمى مماثلة تجاوزية، وإذا كان الصوت منفصل سميت تباعدية.

3- المماثلة الجزئية : حين لا يتطابق الصوت مع الآخر مثل: انبعث ، التي تنطق فيها النون ميماً

تحت تأثير الميم الشفوية ، هذا ما سماه ابن جني(ت395هـ) في كتابه الخصائص الإدغام الأصغر حيث قال: "إنما هو تقريب صوت من صوت .وهو في الكلام على ضربين:

-أحدهما أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام ، فيدغم الأول في الآخر .

- والآخر أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوع معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه "1

4- المماثلة الكلية: حين يتطابق الصوتان هذا ما سمي الإدغام وهو:"إدخال حرف ساكن في

حرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً وقد عرفه ابن الجزري النطق بالحرفين حرفاً كالثاني مشدداً"1 أي وصل حرف ساكن في الحرف المتحرك الذي يليه فيصبحان حرفاً واحداً .

¹أبي الفتح عثمان ابن جني ، الخصائص ، تح محمد علي النجار ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط4، 1996، ص253

نحو: 1- اذتعى ← اذدعى ← ادعى 2- اطلع ← اطلّع ← اطلع

والإدغام أعلى صور المماثلة بين الأصوات "إذا كانت المضارعة تؤدي إلى تقريب صوت من صوت فإن الإدغام يؤدي إلى قلب الصوت إلى مثل نظيره ونطقهما نطقًا واحدًا"²

نخلص في الأخير أن المماثلة بشتى أنواعها تؤدي إلى تغير ملحوظ في اللغة باعتبارها تطور يرمي إلى تيسير النطق عن طريق تقريب الأصوات بعضها ببعض، مما يحقق الانسجام الصوتي.

- نماذج من المماثلة في القرآن الكريم:

1- التأثير المقبل الكلي في حالة اتصال:

هنا يتأثر الصوت بالصوت المتصل الذي قبله (مماثلة تقديمية) ، فيتحول إلى نفس الصوت السابق من أمثلته قوله تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ٢٢﴾³ نلاحظ مماثلة الطاء للتاء: أَحَطْتُ ← أَحْتُ

أحطت تنطق أحْتُ في هذا قال الفراء "تخرج التاء في اللفظ طاء"، الذي حدث هنا هو تخلص الطاء من إطباقها ، فتماثل الحرف الذي يليها كل المماثلة مما قدم سياقًا ملائمًا دفع إلى دمجها في عملية نطقية واحدة.⁴

¹ عطية قابل نصر ، غاية المريد في علم التجويد ، القاهرة ، ط4 ، 1994م ، ص57

² غانم قدوري الحمد ، المدخل إلى علم أصوات العربية ، ص214

³ سورة النمل، الآية 22

⁴ ينظر: فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص192.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤ ﴾¹

يَوْمَ ← أَيَّامَ ← أَيَّامَ

في الآية السابقة نلاحظ تأثر الواو بالياء نتيجة الإحساس بالثقل لذلك من التجاوز المباشر للمقارنين (الواو والياء) ، تقدمت إحداها أو تأخرت دفع إلى مماثلة أولهما للثانية ، أي الواو للياء ثم انصهرا في نطقٍ واحد .²

2- التأثير المقبل الكلي في حالة انفصال :

في هذه الحالة يتأثر الصوت الثاني بالصوت الأول الذي يسبقه ولكن يفصله فاصل (مماثلة تباعدية)، وفي هذا النوع من المماثلة لم أجد أي آية قرآنية ، ربما راجع إلى أن القرآن لا يقبل هذا النوع من المماثلة.

3- التأثير المدبر الكلي في حالة اتصال :

- مماثلة التاء للتاء: تَتَأَقَّل ، يَتَثَاقَل ، يَثَاقِل ، يَثَاقِل

¹ سورة البقرة ، الآية 184

² ينظر: أحمد طيبي ، التناغم والمماثلة في اللسانيات التوليدية، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ط1، 2016م، ص59

قال الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۖ﴾¹

هنا تجاوزت التاء الشديدة مع التاء الرخوة ، وهما متقاربتان في المخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا والتاء من طرف اللسان مع أطراف الثنايا ، و للتقليل من الجهد العضلي، غيرت التاء إلى التاء ، فتحول المخرج وتغيرت الصفة ، ثم أدغمنا .²

4- التأثير المدبر الجزئي في حالة اتصال:

- مماثلة التاء للذال: ذَكَرَ ← اذْتَكَّرَ ← اذدكر .

نحو قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ ١٥﴾³

هنا التاء المهموسة لم تتناسب مع الذال المجهورة قبلها فحدثت صعوبة على اللسان للاختلاف الشديد بينهما ، ولاتقتصاد في الجهد العضلي تحول تاء الافتعال إلى الدال وهو نظيرها المجهور حتى يتحقق التوازي الصوتي فتصبح اذدكر.

5- التأثير المقبل الجزئي في حالة الانفصال:

- مماثلة السين للزاي: رجس ← رجز

¹سورة التوبة ، الآية 38

²ينظر:د عبد الغفار حامد هلال ، الصوتيات اللغوية، ص325

³سورة الأعلى ، الآية 15

نحو قوله تعالى: ﴿.....رَجَسَ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ٩٠﴾¹

نلاحظ تأثر السين المهموسة بالراء التي قبلها إلى نظيرها المجهور وهو الزاي في كلمة رجس التي صارت في القرآن الكريم رجز وهنالك يتم تحول حرف في نفس الصفة الصوتية التي يحملها .

6- التأثير المدبر الجزئي في حالة انفصال:

- مماثلة السين بالطاء:

كقوله تعالى ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ٣٧﴾² ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ٢٢﴾³.

هنا تأثرت السين المرققة بصوت الطاء المفخمة فقلبت صاءً لتناسب الطاء المفخمة لأن الطاء لها تصعد في الحنك وهي مطبقة والسين مهموسة وهي من حروف الصفيير فتثقل أن يعمل اللسان منخفضاً مستعليًا في كلمة واحدة فقلبوا السين إلى الصاد لأنها مؤاخية للطاء في الإطباق ومناسبة للسين في الصفيير، ليعمل اللسان فيهما متصعدًا في الحنك عملاً واحداً⁴.

إلى هنا قمنا بعرض مجموعة من نماذج المماثلة التي وجدت في القرآن الكريم وفيه لاحظنا، من أنواع المماثلة منها ما هو شائع الوجود مثل : التأثير المقبل الكلي في حالة الاتصال و التأثير المدبر

¹ سورة المائدة ، الآية 90

² سورة الطور ، الآية 37

³ سورة الغاشية، الآية 22

⁴ ينظر: فوزي الشايب ، أثر القوانين الصوتية ، ص 235

الكلي في حالة الاتصال ومنها ما هو قليل التواجد مثل: التأثير المقبل الجزئي في حالة الانفصال ومنها ما هو منعدم الوجود وذلك نحو: التأثير المقبل الكلي في حالة الانفصال .

2- المخالفة: Dissimilation

تعد المخالفة قانوناً صوتياً اعتمده المحدثون في تفسير بعض التغيرات الصوتية ، وهي تسير في اتجاه معاكس لقانون المماثلة .

أ- لغة : من خلف "الخَلْفُ ضد قدام ، قال ابن سيده : خلف نقيض قدام مؤنثة ، وجلسْتُ خلف فلان أي بعده"¹، "مخالفة، وقال اللحياني : سررت بمقعدني خلاف أصحابي أي مُخالفهم ، وخلف أصحابي أي بعدهم"²، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ۚ ﴾³ أي هذا خلف هذا، "خَلَفَ الشيء خُلُوفًا: تغير وفسد"⁴ منه خلف، عارض وضاد وتغير وتباين بين الشيئين.

ب- اصطلاحاً:

أحد التطورات التي تعرض أحياناً للصوت اللغوي، نتيجة الصراع المستمر بين حاجات الإنسان الاتصالية ، لتخفيض نشاطه العضلي والعقلي. فطن علماء اللغة العرب لهذه الظاهرة

¹ ابن منظور، لسان العرب، ص1234

² نفسه، ص1237

³ سورة الفرقان، الآية62

⁴ مجمع اللغة ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط4، 2008م ص251

وكانوا يعبرون عنها بكراهية التضعيف أو كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد أو اجتماع الأمثال مكروه أو استثقلوا اجتماع المثليين ، وغير ذلك"¹، ويسميتها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) "الاختلاف ، فيما روى عنه الأزهري في قوله: أما مهما ، فإن النحويين زعموا أن أصل مهما :ماما، ولكن أبدلوا من الألف الأولى هاء ، ليختلف اللفظ"²، وهذا سيبويه (ت180هـ) عقد باباً سماه "ما شُدَّ فأبدل مكان اللام ياء لكراهية التضعيف ، وليس بمطرد"، قال فيه "وذلك قولك تسريت ، وتظنيت، وتقصيتُ من القصة وأملتُ"³.

والسبب في المخالفة من الناحية الصوتية "هو أن الصوتيين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي، في النطق بهما في كلمة واحدة ولتيسير هذا الجهد العضلي يقلب أحد الصوتين صوتاً آخر"⁴. المخالفة مصطلح حديث ، عرفها إبراهيم أنيس "الكلمة قد تشمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما لصوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين"⁵ يفهم من هذا أن المخالفة معناها حدوث اختلاف لصوتين متماثلين في الكلمة فيتغير أحد الصوتين لصوت آخر.

¹ د رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي ، ص 62

² نفسه، ص 63.

³ سيبويه، الكتاب ، ص 424

⁴ د رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي ، ص 62

⁵ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية، ص 139

ونجد أحمد مختار عمر يعرفها "تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام ، بتأثير صوت مجاور ، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين"¹. يفهم منه على أن المخالفة عملية صوتية تقوم على إحداث تباعد مقصود بين صوتين متجاورين، تفادياً للتشابه الشديد بينهما.

نخلص من معالجة اللغويين القدامى والمحدثين إلى ظاهرة المخالفة ، على أنهم تباينوا في تحديد تسمياتها ومصطلحاتها إلى أنهم اتفقوا في مضامينها ، على أنها : تغيير أحد الصوتين المتماثلين في السلسلة الكلامية إلى صوت آخر قريب منه في الصفة والمخرج، تسعى إلى التقليل من الجهد العضلي، وهي مظهر من مظاهر تطور اللغة ينجح إليها المتكلم لتجنب الثقل الناتج عن التضعيف ، وأنها بذلك تسير نحو اليسر والسهولة في النطق.

- أنواع المخالفة :

نظراً لتجاور الصوتين اللذين تقع فيهما المخالفة أو تباعدهما قسم علماء الصوت المحدثين المخالفة إلى قسمين: مخالفة متصلة، مخالفة منفصلة.

1- **المخالفة المتصلة:** "وهي تغيير أحد الصوتين المتماثلين المتجاورين في السلسلة الكلامية إلى صوت مغاير أغلب أن يكون بعيداً عنه في المخرج"². والمخالفة المتصلة على نوعين:

¹أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي، ص384

²سعيد محمد شواهنة ، القواعد الصرف الصوتية بين القدماء والمحدثين ، مؤسسة الوراق ، ط1 ، 2007 ، عمان ص25

2- المخالفة المتصلة التقديمية: وفيها يؤثر الصوت الأول في الثاني هو المخالف وفي العربية كثيرة

تشمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيتحول الثاني إلى صوت لين طويل أو إلى شبيه لها وذلك نحو:

كّر ← كرسانة ← رر ← رن.

ذرّوح ← ذرنوح ← رر ← رن¹

أ- المخالفة المتصلة الرجعية: وفيها يؤثر الصوت الثاني في الأوّل فيكون الأول هو المخالف، ومثال ذلك قول العرب "أنجاص في إجّاص" اختارت العربية النون والراء بديلاً عن أحد عنصري التضعيف فراراً من تتابع الجيمين أو الرائين² ومن الأمثلة أيضاً:

قيراط: أصلها قرّاط ، ودينار : أصلها دتّار، ففي هذه الأمثلة حدثت مخالفة بين صوتيين متماثلين متجاورين وذلك عن طريق قلب الصوت الأول الذي وقع في نهاية المقطع الأول ساكناً، إلى أحد أصوات المد أو اللين³.

3-المخالفة المنفصلة: وهي التي يفصل بين صوتيهما فاصل ، قد يكون حرف واحد نحو

:إخضوضر من إخضضر من أخضر ، فأبدلت الراء الأولى واو، والفاصل هو الراء.

¹ ينظر جيلالي بين يشو، المماثلة والمخالفة بين الفصحى والعامية ، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر، تلمسان 2006، ص241

² ينظر جيلالي بين يشو، المماثلة والمخالفة بين الفصحى والعامية ، ص248

³ ينظر د جواد النوري ، علم الأصوات العربية ، مرجع سابق ، ص310

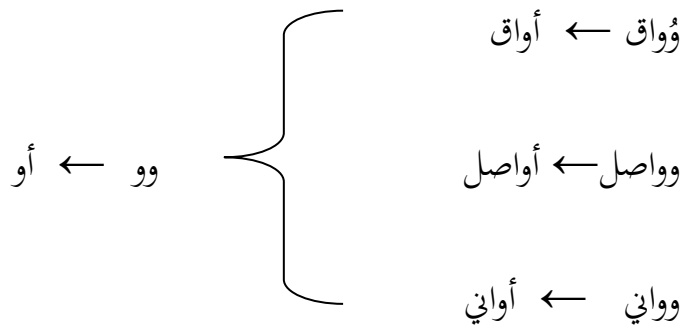
والمخالفة المنفصلة على نوعين:

أ- مخالفة منفصلة تقديمية: وفيها يؤثر الصوت الأول على الثاني المنفصل، فيكون الثاني هو المخالف، ومن أمثلته:

قول العرب "تَلَعَّيْتُ" وأصله "تَلَعَّعْتُ" من اللعاعة فجاء بالياء مكان العين ، قال ابن جني "وأخبرنا أبو علي بإسناده يعقوب قال: قال ابن الأعرابي : تَلَعَّيْتُ من اللعاعة ، بقلة وأصل تَلَعَّيْتُ تَلَعَّعْتُ فأبدلوا من العين ياء ، كما قالوا تَفَضَّيْتُ و تَظَنَّيْتُ"¹.

يتمطى والأصل يتمطط² قال تعالى : ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْهَيْمَةِ يَتَمَطَّى ۚ﴾³.

ب- المخالفة المنفصلة الرجعية: وفيها يؤثر الثاني في الأول ، فيكون الأول هو المخالف ومن أمثلة هذا النوع ما وَرَدَ في قواعد الصرف من قلب الواو همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقاً أو ساكنة نحو:



¹ أبو الفتح عثمان ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، تح: حسن الهنداوي، ج2، ص763

² إبراهيم أنيس ، الاصوات اللغوية، ص139

³ سورة القيامة ، الآية33.

القاعدة الصرفية تفيد أنه يخالف بين واوين متى اجتمعتا في أول الكلمة "إذا وقع في بداية الكلمة واوان لازمتان وجب أن تهمز الأولى على أي حركة كانت ، لأنهم إذا فرّوا من واوٍ وضمةٍ إلى الهمزة كانوا أولى بالفرار من اجتماع واوين وقالوا في :أولى في تأنيث "أَوَّل" والأصل: "وُؤلى"¹.

هذا رأي اللغويون القدامى ، أما ما ذهب إليه علماء الأصوات المحدثين بعضهم يرى أنه لا يجوز نبدل الواو همزة وذلك لعدم وجود قرابة صوتية بين الواو والهمزة من حيث المخرج ولا من حيث الصفة ، فالواو صوت شفوي مجهور ، والهمزة صوت حنجري انفجاري لا هو بالجهر ولا بالهمس .وهنا يطرح السؤال: كيف نشأت الهمزة؟

يجيب الباحث: "الهمزة ليست سوى تحقيق لحركة الواو المحذوفة كالاتي:

awākin ← awākin ← wawākin فبعد سقوط الأولى من الواوين وإبقاء حركتها

نشأ مقطع من نوع "ح ص" وهذا لا يجوز البتة في العربية فحققت الحركة فصارت همزة، لأن المقطع في العربية لا يبدأ إلا بصامت"².

¹ عمر بن ثابت الثماني ، شرح التصريف ، تح: د ابراهيم بن سليمان النعيمي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط1 ، 1999م، ص490

² د فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، علم الكتب الحديث، أريد الأردن ، 2004م، ص340-341

نستنتج مما تقدم، أن المخالفة الصوتية من التطورات التي تعرض أحياناً للأصوات اللغوية، كما أنها شاعت في الكثير من اللغات ، يميل إليها الناطق للتخفيف من الجهد النطقي والعضلي لذا يمكن عدّها إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها الكثير من اللغويين المحدثين .

- نماذج من المخالفة في القرآن الكريم:

1- المخالفة المقابلة المتصلة:

- المخالفة في السين: دسّاه، في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠﴾. ودسّاه من دسّست فقلبت إحدى السينات ياء ، كما يقال لبّيت والأصل لببت، وقصّيت أظفاري، وأصله: قصّصت، ثم قلبها ألماً لانفتاح ما قبلها.¹

قال أبو عبيدة: (هي من دسّست ، والعرب تقلب حروف المضاعف إلى ياء ، قال الحجاج : تقضى البازي إذا البازي كسر ، وإنما هو القضاض، وتظنيت إنما هو تظننت.²

2- المخالفة المقابلة المنفصلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾³

¹ ينظر: أ د حسن غازي السعدي، المخالفة الصوتية في القرآن - تفسيرها بين القدماء والمحدثين ، مجلة مداد للآداب ، جامعة

بابل كلية العلوم الإسلامية، ص 241

² نفسه ، ص 241

³ سورة الأعراف ، الآية 54

وأصل "سِنَّةٌ" ، سِدْسَةٌ ، أبدل من إحدى السينين تاءً وأدغم في الدال ، لأنك تقول في تصغيرها: سُدَيْسَةٌ وفي الجمع: أسداس¹.

3- المخالفة المدبرة المتصلة:

- المخالفة في النون: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾² هنا أبدلت الياء من النون ، قالوا: دينار أصله دنّار، يدل على ذلك جمعهم إياه دنانير ، ولم يقولوا: دنانير وقالوا في التصغير دُنينير، ولم يقولوا ديينير.³

بعد عرض هذه المقتطفات للمخالفة في القرآن ، نخلص إلى أن المخالفة الصوتية لها وجود كبير في ألفاظها ، أفعالاً وأسماءً ، تحصل للهروب من ثقل التضعيف و للاقتصاد في الجهد العضلي في النطق.⁴

وفي ضوء ما سبق عرضه ، تتجه الدراسة إلى استنتاج أوجه مقارنة بين الفريقين في دراسة العناصر الصوتية في النقاط الآتية:

● نقاط التلاقي والاتفاق:

¹ ينظر: حسن غازي السعدي، المخالفة الصوتية في القرآن، ص 244

² سورة آل عمران، الآية 75

³ ينظر: ا د حسن غازي السعدي، المخالفة الصوتية في القرآن، ص 245

⁴ سورة الشمس، الآية 10

- كلاهما اهتم بدراسة الأصوات اللغوية وتبيان كل ما يتعلق بها (المخرج ، الصفة التماثل، التخالف).

- عمل الطرفان على ضبط الظواهر الصوتية والحرص على منع الخلط بين الأصوات المتقاربة لسلامة المعنى.

- أدرك علماء التجويد بأهمية الجانب النطقي في معرفة الأصوات ، كما جعلها اللسانيين محور التحليل العلمي.

● نقاط التباعد والافتراق:

- الدراسة التجويدية تسبق الدراسة المعاصرة زمنياً نظراً لارتباطها بخدمة القرآن الكريم وضبط أدائه.

- اختلف الفريقان من حيث المنهج ، فكان منهج التجويد وصفي أدائي بينما التحليل اللساني المعاصر فهو وصفي تجريبي تفسيري علمي.

- اعتمد القدماء في الدراسة الصوتية على الملاحظة والسمع والعمل الفردي الشخصي ، أما المحدثون فقد استعانوا بالوسائل المخبرية التي مكنتهم من الدقة العلمية.

- الهدف الأساس عند القدماء حفظ القرآن وصيانه من التحريف ، في المقابل التحليل اللساني هدفه بناء نظرية صوتية تفسر آلية إنتاج الأصوات ووظائفها.

يمكن القول أن علماء التجويد وضعوا القاعدة الأولى لدراسة الأصوات فكانت بمثابة المنارة التي اهتدت بها الدراسات المعاصرة وبهذا تحولت الدراسة من الوصف الحسي إلى التحليل الموضوعي دون أن يقلل ذلك من قيمة الجهد التراثي.

أثبت هذا الفصل أن جمالية الإيقاع الصوتي الداخلي في القرآن الكريم تقوم على نظام صوتي متكامل ، تسهم فيه ظواهر التكرار ، المقطع الصوتي ، المماثلة والمخالفة في تحقيق الانسجام والنغم الداخلي، كما بيّن أن ما قرّره علماء التجويد يلتقي مع التحليل الصوتي المعاصر في تفسير هذه الظواهر ، مما يؤكد أن الإيقاع الصوتي عنصر بنيوي وجمالي أصيل في الخطاب القرآني.

وفي الفصل الثاني ، ننتقل إلى الإيقاع الخارجي الذي سنتناول فيه الفاصلة القرآنية ، التصدير ، الحروف المقطعة ، على أن نختم بحثنا باستنباط هذه العناصر من القرآن الكريم ثم بيان وظيفتها الجمالية الإيقاعية.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي
الخارجي في القرآن الكريم من منظور
علماء التجويد والتحليل اللساني
المعاصر

أولاً: الفاصلة القرآنية.

ثانياً: الحروف المقطعة.

ثالثاً: التناسب الصوتي

تمهيد:

القرآن الكريم يتخير حروف الكلمة وينتقي أصواتها ، فتجيء صافية الذوق في مخارجها ، لذيدة السماع ، طيبة الجريان على اللسان ، معتدلة في تأليفها ، خفيفة في النطق ، نازلة في أحسن هيئة من الإيقاع، قوية الإيحاء ، عميقة الدلالة على ما تضمنته من المعاني والأهداف المقصودة في الآية الكريمة.

لذلك نرى في تركيبه للحروف تناسقاً عجيباً بين الرخو والشديد، والمجهور والمهموس ، والممدود والمقطوع ، حيث يؤلف اجتماعها نغمًا عذبًا يظهر أثره في صوت القارئ ، وهذا كل ما يدركه كل متدبر للقرآن الكريم. وكان لعلماء التجويد في فهم حروفه والبحث في خفاياها نظراتٌ مختلفة وأفكار ثرية، تجلّت في تحليلاتهم لآيات الله تعالى. في إطار الدراسات اللسانية الحديثة، أصبح هذا النظام الصوتي قابلاً للتحليل من منظور الفونولوجيا التي تهتم بدراسة العلاقات بين الأصوات ووظائفها داخل البنية اللغوية.

ويظهر هذا التناسق الصوتي في القرآن الكريم في جملة من الظواهر الصوتية البارزة، أهمها الفاصلة القرآنية التي تمثل خاتمة الآية وما تحدّثه من انتظام صوتي ينسجم مع المعنى ، كما يتجلى في الحروف المقطعة التي افتتحت بها السور ، حيث تؤدي دوراً صوتياً إيقاعياً يلفت الانتباه إلى بنية الخطاب القرآني ويعزز خصوصيته ، كذلك في ظاهرة التصدير التي تقوم على إعادة بعض الألفاظ أو الأصوات في بداية الآية أو الجملة على نحوٍ يحقق نوعاً من التوازي الصوتي ويبرز الإيقاع العام للنص.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

ومن هنا تتجلى جمالية التوازي الصوتي في القرآن الكريم من خلال تفاعل هذه العناصر معًا ،
إذ تتكامل الفاصلة القرآنية والحروف المقطعة والتصدير في تشكيل نسق صوتي متوازن يجمع بين جمال الإيقاع ودقة الدلالة .

يسعى هذا الفصل إلى توضيح هذه الجمالية من خلال دراسة تطبيقية تستند إلى ما قرره علماء التجويد والدراسات اللسانية المعاصرة في الكشف عن النظام الصوتي للنص القرآني وبيان مظاهر التوازي فيه.

أولاً- الفاصلة القرآنية:

تُعد الفاصلة القرآنية أحد أعمدة النغم القرآني ، فهي تُسهم في حفظ التناسق الداخلي للآيات وتضمن انسجام النص القرآني، إذ تُعد إسهامًا بارزًا في تحقيق التوازن الصوتي. وحتى يتحدد مفهوم الفاصلة القرآنية بدقة ، يجدر بنا تعريفها لغةً ثم بيان معناها اصطلاحًا عند العلماء.

أ- الفاصلة لغة:

من فَصَلَ جمعها فواصل وهي: "بَوْنٌ ما بين الشيئين، والفصل من الجسد: موضع الفصل، وبين كل فصلين وصل . الفاصلة: الخزة التي تفصل بين الخزتين في النظام، وقد فَصَلَ النَّظْمَ وَعَمِدُ مُفَصَّل أي جعل بين كل لؤلؤتين خزة"¹.

¹ ينظر ابن منظور ، لسان العرب (، مادة فَصَلَ)، ص3422. والفيروز أبادي، القاموس المحيط ، ص2150

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

يعرفها ابن فارس (ت395هـ): "الفاء والصاد واللام ، كلمة صحيحة ، تدل على تمييز الشيء ، وإبائه عنه. يقال: فَصَلْتُ الشيء فصلاً.... والمُفَصَّل: اللسان ، لأن به تفصل الأمور وتميز"¹

وردت كلمة فصل في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾²، أي هذا يوم يفصل فيه الله عز وجل بين الخلائق ، ويتميز فيه المحسن من المسيء. نلاحظ من التعاريف السابقة أن الفاصلة لغةً تحمل معاني التفرقة والتمييز بين الشيئين ، وهذا التمييز لا يعني أن الشيئين أجنبيان عن بعضهما ، بل قد يكون رابط بينهما ، كالخزرة التي تفصل بين الخرزتين في النظام.

ب- الفاصلة اصطلاحاً:

استخدمت الفاصلة اصطلاحاً في عدد من العلوم العربية منها النحو والعروض وعلوم القرآن وهذا الأخير هو موضع بحثنا، تنوعت تعاريف الفاصلة عند العلماء القدماء والمحدثين وسنذكر بعضها في ما يلي:

- عند قدماء علم التجويد:

من تعريفاتهم قول الرماني (ت384هـ): "الفواصل حروف مشاكلة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعاني"³ وأيضاً الباقلاني (ت403هـ) بقوله: "فهي حروف مشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام

¹ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، دط ، 1979م ، ج4 ، ص505

² سورة المرسلات، الآية38

³ محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن ، دار عمار، عمان، الأردن ط2، 2000م، ص26

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

المعاني".¹ هذان التعريفان في الظاهر يبدوان متشابهان لكن في المضمون هما مختلفان وذلك في أن الأول قال توجب حسن إفهام المعاني وهذا معناه أن ذاك التشاكل الصوتي يقتضي المعنى أي أنه لازم ، أما الثاني في قوله :يقع بها إفهام المعاني هنا تفيد الحدوث لا الإلزام ، إذن الرماني يجعل مراعاة حصول المعنى واجب على غير الباقلاني الذي حصرها في أنها مجرد أداة دون تأكيد تحسين المعنى .

وعرفها أبو عمرو الداني(ت444هـ): "كلمة آخر الجملة"² يرى الداني الفاصلة آخر كلمة في الجملة ، وقد فرق بين الفاصلة ورأس الآية في قوله:"أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية"³ يتضح من التعريف الفاصلة علامة انفصال الكلام تساعد على فهم المعنى ، و منه نستخلص أن الفاصلة تتحد بنهاية المعنى وليس بنهاية الآية وهو يقصد برأس الآية آخرها .

أما تعريفها من منظور الزركشي والسيوطي فقد عبّر عنها:"كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"⁴ ، تعريف يركز على البعد الصوتي والإيقاعي إذ شبهوها بالقافية في الشعر حيث وقوعها في الختام، وقرينة السجع من جهة الجرس والتوازي الصوتي.

¹ أبي بكر بن محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، القاهرة، دط، دت، ص270
² الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، دط، 2006م، ص50،

³ كمال الدين المرسي، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1999، ص9
⁴ ينظر: عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: أبي الفضل الدمياطي دار الحديث، القاهرة، 2007م، ص50.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

يرجع اختلاف تعريف الفاصلة إلى اختلاف زوايا النظر وغرض الباحث، فمن منظور النحو والصرف تُعرف بأنها الكلمة الأخيرة في الآية أو الجملة ، أما من المنظور الصوتي فهي تُعدُّ مجموعة من المقاطع .

إن الحديث عن الفاصلة عند علماء التجويد يقودنا إلى الحديث عن الوقف نظرًا لصلته بها وعلاقته بالمعنى هذا ما قاله ابن الأنباري "من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء، إذ لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن إلا بمعرفة الفواصل"¹ هذا يدل على مدى أهمية تعلم الوقف في القرآن.

الوقف عند ابن الجزري:² تام مختار ، كافٍ جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك ، فالأقسام الثلاثة الأولى يمكن الوقف عندها بلا حرج، أما القسم الرابع أي القبيح المتروك فلا يتم عنده المعنى ، ويميل إلى التحريف ، كأن يقف القارئ في قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ﴾³ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥١﴾⁴ هنا الوقف غير جائز.

بعد تعريف القدماء للفاصلة القرآنية، يظهر لنا أن دورها يتجاوز كونها مجرد علامة وقف، فهي تُنظّم النص وتوضح المعنى وتساهم في توجيه القارئ نحو الفهم السليم والإيقاع القرآني. ومن هذا المنطلق ، ننتقل إلى تعريفها عند المحدثين وما أضافوه من تطوير لهذا المفهوم.

¹ محمد مكّي نصر الجريسي ، نهاية القول المفيد في علم التجويد، مرجع سابق ، ص201

² ينظر ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص175

³ سورة الماعون الآية 4

⁴ سورة المائدة الآية 51

– عند المحدثين:

تختلف جهود المحدثين بجهود القدماء من حيث الوفرة أو الجودة، لأن إسهامات الأوائل أرسوا أصول هذا العلم وضبطوا قواعده، فلم يتركوا للمحدثين إلا يسيراً من المسائل للاجتهد والتكميل، وهنا سنعرض بعض آراء العلماء حول الفاصلة القرآنية لنوضح مدى إسهاماتهم لتعميق فهمها.

قال الحسناوي: "الفواصل أواخر الآيات في كتاب الله عزّ وجلّ ، فواصل بمنزلة قوافي الشعر واحدتها فاصلة"¹، استناداً إلى التعريف ، الفاصلة هي ما اختتمت به الآية القرآنية وذلك شبيه بقوافي الشعر . كما عرفها كمال الدين عبد الغني: "الفاصلة هي آخر كلمة في الآية كقافية الشعر وقرينة السجع ، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام، وتسمى فواصل لأن الكلام ينفصل عندها"²يوافق هذا التعريف الذي يسبقه غير أنه أضاف عليه دورها في استراحة الكلام وتحسين المعنى .

وقد ورد تعريفها عند نذير حمدان : "الفاصلة هي الكلمة التي تحتّم بها الآية ، وبها يتم معناها، ويزداد وضوحاً وجلالاً ، ففيها تفصيل توضيحي جمالي يضيف على معناها رواءً بيانياً بديعاً بما تؤديه من جرس صوتي ينسجم مع آياتها وسائر الآيات"³

¹ د محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن، ص25

² ينظر : كمال الدين عبد الغني المرسى ، فواصل الآيات القرآنية ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1999م، ص09

³ نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، دار المنارة، السعودية، ط1، 1991م، ص41

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

تتفق التعاريف على أن الفاصلة القرآنية تقع آخر الآية وسميت بذلك لأنها تفصل الكلام، ويكمن دورها تحسين المعنى واستراحة القارئ ، وهي بذلك تضيف جمالاً موسيقياً بديعاً ينسجم مع معناها الذي تدور حوله.

بعد عرض هذه التعريفات ومناقشتها ، بوسعنا الآن أن نخلص إلى صياغة تعريف جامع يوفق بين مضامينها ويجمع شتاتها في تصور أكثر تكامل وهو كالاتي: الفاصلة القرآنية هي نهاية الآية التي يكتمل عندها المعنى بدلالاتها ، وينتظم بها الإيقاع بمقاطعها ، فتستريح النفس ويحقق الانسجام بين الدلالة والنغم. هذا فيما يخص تعريف الفاصلة عند القدماء والمحدثين ، أما تحديدها فقد اختلف فيه الرأي بين الباحثين إذ يمكن أن تتخذ الفاصلة أشكالاً متعددة تتراوح بين الكلمة والمقطع والجملة¹.

– معرفة الفواصل القرآنية صوتياً:

إن الناظر إلى فواصل القرآن يرى أنها مجرد علامات وقف ، غير مدركٍ بعدها الوظيفي الذي تؤديه . من أجل تمييز الفاصلة ، وتحديد صدا صوتياً ، علينا تتبع فواصل الآيات بالدقة والضبط ، في تنقلها في القرآن عبر مسيرتها الإيقاعية.

قال إبراهيم بن عمر الجعبري (ت 732هـ): "المعرفة الفواصل طريقان: توفيقى وقياسى. أما التوفيقى فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائماً ، تحققنا أنه فاصلة ، وما وصله دائماً

¹ ينظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط15 ، 1988م ، ج1 ، ص 547

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

تحققنا أنه ليس بفاصلة...¹ هذا التحديد مستوحى من ترتيل رسولنا الكريم أي ما وقف عليه و ما وصله صلى الله عليه وسلم. "وأما القياسي فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص المناسب ، ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان ، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل ، والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز²، قياسية أي ما لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وقف عليها لكنها مناسبة لما وقف عليه. من هنا كان التنقل في فواصل القرآن ، حيث أن الوقف على فواصل الآية غير ثابت دائماً عند حرف محرف محدد في كل موضع من السور ، فهناك مواضع يلتزم فيها القارئ الوقف ، ومواضع يكون فيها الوقف اختياريًا ويمكن أن يتغير من حرفٍ لآخر أو من صيغة إلى أخرى. وهكذا نجد الجمع بين الالتزام بالوقف وعدمه أمرًا شائعًا .

– الفاصلة القرآنية بين التوازي الصوتي والوظيفة الدلالية :

إن جمال التوازي الذي تشمل عليه الفواصل يكمن في الواقع النفسي ، بجانب الإيقاع الصوتي و اللفظي ، حيث يقوم على توازن مقاطع الكلام والطبع يعيل إلى التوازن ، والذي ينبغي التنبيه إليه في هذا المقام هو أن تحقيق الانسجام الصوتي في الفاصلة يكون متمم للدلالة .

تعدُّ فواصل القرآن الكريم من أبرز مصادر الموسيقى في النظم القرآني ، إذ كان لها أثر كبير في لفت انتباه المشركين وفصحاء العرب ، فقد كانوا على دراية بالشعر وقوافيه ، وبالنثر وأساليبه ، غير أن القرآن جمع بين محاسن هذه الفنون جميعًا وزاد عليها من غير تكلف في اللفظ ولا افتعال في

¹ جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 290

² نفسه، ص 291

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

الأسلوب ، فالنظم القرآني كله يمتاز برنين خاص و إيقاع متميز ، ولما نزل القرآن في أمة أمية تسمع أكثر مما تكتب "لهذا لا عجب أن نجد الفاصلة القرآنية تؤدي دورًا أكبر في الإيقاع الموسيقي وفي النظام الجمالي ".¹ يشيع التوازي في القرآن الكريم في فواصل السور الطوال ففي سورة آل عمران نجده في النماذج التالية:

1- توازي يشبه التكرار : مثل هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿إُولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٧﴾ تكررت ثلاث مرات (الآيات 77 و177 و188)

قال تعالى : ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾ تكررت مرتان (الآيتان 105 و176).

قال عزّ وجل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٤٩﴾ تكررت ثلاث مرات (الآيات: 49 و 139 و 175).

قال عزّ وجلّ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٩٣﴾ ثلاث مرات (الآيات: 93 و168 و183).

2- توازي متقارب: نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ٩٨﴾ (الآية 98)

﴿خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الآية 103)

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ٩٦﴾ (الآية 163)

¹ د عبد الله محمد الجيوسي ، التعبير القرآني والدلالة النفسية ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق ، ط1 ، 2006م، ص189.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

ت- توازي أقل تقارب: نحو أسلوب المدح والذم في قوله تعالى:

﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (الآيتان: 12 و 197)

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الآية 162)

﴿وَنِعَمَ الْوَكِيلُ ١٧٣﴾ (الآية 173)

هذا فيما يخصّ التوازي الصوتي في الفاصلة القرآنية، ننتقل الآن إلى الوظيفة الدلالية التي تؤديها الفاصلة إلى جانب الإيقاع الصوتي. وفي هذا المقام، قال الزركشي (ت794هـ): "اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام و أواخره و إيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً و إلا خرج بعض الكلام عن بعض وفواصل القرآن لا تخرج عن ذلك لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل اللبيب".¹ يشير هنا إلى أنه ينبغي على الفاصلة أن تلائم المعنى المقصود، أحياناً تكون ظاهرة وأحياناً تحتاج إلى تدبر و تأمل.

وفي ردّ الدكتور حسن عباس على دائرة المعارف البريطانية حين ادّعت أن القرآن مجرد إنشاء بطريقة عشوائية، فاستدلت على هذه الدعوة بالفواصل القرآنية بآيات مثل ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٨١﴾، ﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾²، هذا يبرهن على دقة الفاصلة والترتيب المحكم المتقن.

¹ عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: أبي الفضل الدمياطي دار الحديث، القاهرة، 2007م، ص 75

² ينظر: د فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، دار البشير، عمان الأردن، دط، ص82

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

القرآن كله نماذج تتلاحم فيها فواصله بنسيج بديع ونسق عجيب مع جملة ألفاظاً ومعنى، لتترك في النفوس المتلقية أثراً مراداً . ومن الأمثلة :

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فَيَآيْمُنِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٢٢٥﴾¹ هنا الغفران والحلم لعدم المؤاخذة باللغو في الإيمان مناسبة لمعنى الآية .

وقوله كذلك: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦﴾² أي هو الذي يخلق كما يشاء في الأرحام من ذكر وأنثى ، وهو المستحق للإلهية لا شريك له ، له العزة والحكمة والأحكام³ ، أليست الفاصلة متناسبة مع الألوهية المتفردة والاختيار الرباني المطلق وفق حكمة ربانية ؟

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّقُوا اللَّهَ بِهِ إِذَا قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾⁴

¹ سورة البقرة، الآية 225

² سورة آل عمران، الآية 6

³ ينظر : إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1420 هـ 2000 م،

ص 350

⁴ سورة المائدة ، الآية 7 و 8.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

تحدث الآية الأولى عن تذكير الله سبحانه لعباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم ، و ما أخذ عليهم من العهد والميثاق ولما كانت تتعلق بما في القلوب فناسب أن تختم بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، أما الثانية فأمر فيها المؤمنين بالحق والعدل في كل أحد ، وتلك ظاهرة واضحة يراها الناس ، فناسب أن تختم ﴿اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾¹ .

وقوله الحق تبارك وتعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٩٧ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ٩٨﴾² .

في آية النجوم والهداية في الظلمات جاء الختام "يعلمون" لأن الاهتداء بالنجوم يحتاج إلى علم ومعرفة، أما في آية خلق الإنسان من نفسٍ واحدة جاء الختام "يفقهون" لأن التأمل في أصل الخلق يحتاج إلى تدبر وفهم عميق .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ٢٦ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ صَالِحًا فَنُخْرِجُ مِنْهَا زَبْرًا عَاتَا كُلُّهُمْ مِنْهَا نَعْمُ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ٢٧﴾³ فقد ختمت الآية الأولى بـ {يسمعون} والثانية بـ {يبصرون} فما سر ذلك؟ ، نجيب على هذا الأمر ، على أن الآية الأولى تحدثت عن القرون المهلكة من قبل هؤلاء ، فهو حديث التاريخ لذا ختمت بـ

¹ ينظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص594.

² سورة الأنعام، الآية 97، 98.

³ سورة السجدة، الآية 26-27.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

"يسمعون" أي ما يروى لهم عمّا لم يشاهدوه ، أما الآية الثانية فتحدثت على هذه الأرض ، كيف ينزل عليها الماء فتنبت الزرع متاعاً لهم ولأنعامهم فالأمر أمام أعينهم وهم يشاهدوه لذا ختمت بـ "ييصرون".¹

قال عزّ وجل: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ٤٣﴾.²

بينت الآية الأولى، المثل الذي ضربه سبحانه وتعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ، يرجون نصرهم وتوفيقهم ورزقهم ، ويتمسكون به في الشدائد ، فهم في ذلك كببت العنكبوت في ضعفه ووهنه ، فإنه لا يجدي عنه شيئاً ، ولو علموا هذا ما اتخذوا من دون الله أولياء ، فختمت الآية بـ "يعلمون"، و جاءت الآية الثانية متممة لها فختمت بـ "وما يعقلها إلا العالمون" فانظر كيف ختمت الفاصلة بذكر العالمين لأن قضية العنكبوت لا يدركها إلا الله.³

إذن الفاصلة القرآنية لها وظيفتان ، الأولى معنوية يقتضيها السياق وهي الأساسية والغرض المعنوي للقرآن هو المعنى الذي تقوم به الفاصلة ، والثانية صوتية تتعلق بجمال الإيقاع والجرس الخارجي الذي يتلاءم وجوّ السورة ، والفاصلة القرآنية أحد دعائم الإعجاز القرآني التي انفرد بها عن غيره من النظم .

¹ ينظر: د فضل حسن عباس و د سناء عباس ، إعجاز القرآن ، دار النفائس ، ط8، 1436هـ-2015م ، ص220.

² سورة العنكبوت، الآية43.

³ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص1437.

- جهود علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر في الفاصلة القرآنية:

يعد القرآن الكريم أول مصدر ارتبط فيه إحياء الفاصلة¹، في قوله تعالى: ﴿...وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ
بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ...﴾² و﴿...آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ...﴾³. ومن ثم واكب العلوم الإسلامية والعربية منذ
نشأتها الأولى. يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي حُتمت به الآية ، مثل ما سموا ما ختم به
الشعر قافية، أطلقوا على أواخر الآيات فواصل⁴. ولعل أهم من تناول هذا الجانب :

1- جهود القدماء:

أ- الإمام الباقلاني: تحدّث الإمام الباقلاني عن الفاصلة القرآنية في كتابه "إعجاز القرآن"،
"الفواصل على وجهين ، أحدهما بأنها تقع على حروف متجانسة كقوله تعالى: ﴿طه ١ مَا أَنْزَلْنَاهُ
عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَنْ لَتُنَشَّقَى ٢ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَنْ يَخْشَى ٣﴾ [طه: الآية 1 و 2 و 3]، والآخر على
الحروف المتقاربة كالميم والنون في قوله عز وجل ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٣ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾
[الفاتحة: الآية 3 و 4]، ولا تحتل القوافي ما تحتل الفواصل، لأنها ليست في الطبقة العليا في
البلاغة ، ولأن الكلام فيها مجانسة القوافي وإقامة الوزن⁵ ، المقصود بالقوافي لا تحتل ما تحتل

¹ ينظر: محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن ، ص 33.

² سورة الأعراف، الآية 52.

³ سورة الأعراف، الآية 133.

⁴ ينظر فضل حسن عباس ، إعجاز القرآن ، جامعة القدس المفتوحة ، عمان ، الأردن، ط 2، 1997م ، ص 214.

⁵ ينظر: الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح: محمد خلف الله أحمد و د محمد زغلول

إسلام ، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط 3، 1994، ص 98.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

الفواصل ، أي أن القافية في الشعر محدودة مقيدة الوزن أما الفاصلة فهي أوسع وأبلغ لأنها تخدم المعنى دون قيود.

ب- السيوطي : تحدّث السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) عن فواصل الآيات فذكر عدة تعريفات للعلماء في الفاصلة القرآنية، إذ نجده عرّفها باعتبارها كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر وقرينة السجع ، كما نجده ذكر أن معرفة الفواصل طريقتين: توقيفي وقياسي كما ذكرناه سابقاً.

ثم نجده يتحدّث عن الفائدة من الفاصلة وبين أن الهدف منها تحسين الكلام ، ثم بين أنّ فواصل القرآن ل تخرج عن أربعة أشياء: التمكين والتصدير ، والتوشيح والإيغال، وفيما بعد تحدّث عن أقسام الفواصل حيث قسمها إلى: المتوازي والمتوازن والمرّص والمتماثل¹.

ج- الزركشي: اعتبر الزركشي الفاصلة كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع ، كما نجده تعريفات عدة للفاصلة عند العلماء ويفرق بين السجع والقافية، كما نفى السجع عن القرآن "ويمنع استعمال القافية في كلام الله ، لأنّ الشرع لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية أيضاً عنه لأنها فيه، وخاصة في الاصطلاح ، وكما يمتنع استعمال القافية في القرآن لأنها لا تطلق الفاصلة في الشعر ، لأنها صفة لكتاب الله فلم تتعداه"²

¹ ينظر: جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مجلد3، ص 290، 311.

² ينظر: الزركشي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص50.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

كما نجد أنه يتكلم عن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل فيقول: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكداً جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً".¹

ثم تحدث عن ضمّ مقاطع الفواصل بحروف المد واللين، ثمّ بعد ذلك ليقسم الفواصل باعتبار التماثل والمتقارب في الحروف فيبين أن الفواصل تنقسم إلى ما تماثلت حروفه في المقاطع، وهذا يكون في السجع وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع، ولم تتماثل وهذا لا يكون سجعاً ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين أي التماثل والمتقارب كما قد قسم الفواصل باعتبار المتوازي والمتوازن والمطرف وأشرفها المتوازي، وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع، أمّا المطرف أن تتفق في حروف السجع لا في الوزن، أما المتوازن أن يراعي في مقاطع الكلام الوزن فقط²

د-الرماني: أفصح الإمام الرماني عن الفاصلة القرآنية في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) حيث نجده يقول أن الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق لإفهام المعاني التي تحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها

¹ نفسه، ص55.

² الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص63.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

عليها.¹، كما وافق الباقلاني في قوله الفواصل تقوم على وجهين: أحدهما على الحروف المتجانسة والأخرى على الحروف المتقاربة.²

2- جهود المحدثين:

أ- مصطفى صادق الرافعي (ت1356هـ)، يعرض الرافعي للفاصلة في كتابه إعجاز القرآن في فصل الحروف وأصواتها ، حيث يرى الفاصلة ليست مجرد نهاية لفظية للآيات ، بل هي نهايات محكمة تخدم المعنى كما أوضح أهمية الحروف وأصواتها في تشكيل الإيقاع القرآني قائلاً: "وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم ، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها ، أو بالمدّ وهو كذلك طبيعي في القرآن"، فقد لاحظ أن الفواصل كثيراً ما تنتهي بالميم والنون أو بحروف المدّ لما لها من أثرٍ موسيقي منسجم ، وإن انتهت بغيرها جاء ذلك موافقاً لسياق الآية ونغمها، خاصة في الجمل القصار ذات الجرس القوي ، ويسمى ذلك بطريقة الاستهواء الصوتي في اللغة.³

وفي نفس الكتاب تكلم عن هذا المقام في أسلوب القرآن ، إذ نجده يقف عند ظاهرة التكرار ، باعتباره ظاهرة موجودة في بعض آيات القرآن ، وتختلف فيه طرق الأداء ويبقى المعنى واحد في العبارات المختلفة مثل الذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة ، ويعرض

¹ ينظر: الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص97.

² ينظر: نفسه ، ص 98.

³ ينظر مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، 2003م، ص179.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

في ثنياء عن تكرار الفاصلة في السور القصار التي تخرج من الكلمات المعدادة إلى الآيات القليلة والتي هي مع ذلك أكثر ما تجيء آياتها عن فاصلة واحدة أو فواصل قليلة مع قصر ما بين الفواصل¹.

ومن ثمّ خلص الرافي إلى أن سر جمال النظم القرآني يكمن في تناسب الحروف وأصواتها وصفاتها ، بحيث تتألف الكلمات والجمل في نسقٍ صوتي منسجم ، يجعل القرآن أشبه بلحنٍ لغويٍّ بديع ، وهو ما جعله من أوائل المحدثين الذين برزوا القيمة الجمالية للصوت في إعجاز القرآن .

ب-سيد قطب(ت1966م)، هو الآخر يعد من أكثر الدارسين المحدثين في هذه الدراسة ، ضمن حديثه في كتابه: "التصوير الفني و "مشاهد القيامة "

ففي التصوير الفني ، رأى أن في القرآن الكريم إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع يتناسق مع الجوّ الذي تطلق فيه هذه الموسيقى و يؤدي وظيفة أساسية في كل سياق ، كما تحدث عن الدور الذي تنهض به الفاصلة في التصوير وذلك في نظامها المتنوع في السور المختلفة وفي السورة الواحدة ، تبعاً لتنوع المواقف والأغراض².

هذا يدل على أن الفاصلة القرآنية تنشئ في نظامها المختلف بين السور إيقاعاً موسيقياً عذباً تستريح له النفس يتناسب مع جوّ السورة والحالة المراد تصويرها تساعد على إتمام معالم الصورة الحسية والمعنوية وهذه خطوة مشتركة بين التعبير والتصوير البصري والسمعي .

¹المرجع سابق ، ص 160.

²ينظر ، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، بيروت، دط، دت، ص87.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

وقد قدم سيد قطب عرضًا موجزًا لما سبق أن تنبه إليه علماء البلاغة عبر عنه بـ "النكت البلاغية التي تنبه إليها الكثيرون"، كأن تجيء الفاصلة: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾¹ بعد كلام يثبت التوبة بينما يعبر بلفظ الله في مواضع التأليه والتعظيم في قوله ﴿إِنَّا لِلَّهِ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾² كما يظهر اسم الجلالة أو يضمّر بغرض يقتضيه السياق³، وهي ألوان ودرجات أبعد وأرقى في موضوع التناسب البلاغي والإيقاعي.

أما في كتابه مشاهد القيامة في القرآن، يبين كيف لا يستعمل القرآن الفواصل بشكل عشوائي (كالفواصل بين الآيات المتصلة والانتقال من فاصلة لأخرى)، بل باعتبارها عناصر تنظيمية تعبر عن دقة البيان ووضوح الصورة ويرصد ذلك في مجموعة من سور كتاب. فقد عبر عن تناسق الجرس الموسيقي مع حركة العمل الصوتية خاصة في السور القصار كسورة المسد، قد لا يظهر جمالها في ظاهرها لكنه يظهر حين يلامس الوجدان.⁴

إذن ما أضافه سيد قطب في كتابيه السالفة الذكر، أبرز أن القرآن يتميز بتناسق فني متكامل يجمع بين المعنى والإيقاع الموسيقي والفواصل الصوتية، حيث ينسجم كل حرف ومقطع مع الفكرة

¹ سورة المائدة، الآية 120.

² سورة لقمان، الآية 34.

³ ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، دط، دت، ص 88.

⁴ السيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، بيروت، ص 67.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

المطروحة مع التأثير في المتلقي نفسياً ووجدانياً، ليكون القرآن مثال حي وأعلى تجلٍ للتصوير الفني والبلاغة.

وعرض الدكتور إبراهيم أنيس لفواصل القرآن في مواضع كثيرة، ولعل أظهرها، ما جاء في كتابه "موسيقى الشعر" وذلك في الفصل (الحادي عشر-النسج القرآني وأوزان الشعر) يقرر مايلي:¹

- وصف القرآن على أنه نزل بلغة العرب على نهج كلامهم ومع هذا هو معجز لهم ، لا يرون في آدابه نظير ولا يستطيعون تقليده ، لسمو أسلوبه وجمال نسجه .
- من جمال القرآن أن وقع فيه ذلك القدر العظيم من آياته موزونة موسيقية
- موسيقى القرآن قد تشترك مع موسيقى الشعر في الأوزان والقوافي ، ويرتقي القرآن عن الشعر بإنشاده.

إذن المحدثون لم يميلوا إلى جانب سيطرة الشكل على المضمون فهم يعترفون برنة الفاصلة من حيث هي قرار موجٍ وترجيح رائع ولكن هذا مرتبط بأشد ارتباط بالمعنى فأحمد بدوي يقول: "هذه الفواصل لها قيمتها في إتمام المعنى ، وهي مرتبطة بآياتها تمام الارتباط ، ولها أثرها الموسيقي في نظم الكلام ، ولهذه الموسيقى أثرها في النفس ، من أجلها حدث في نظم الآي المناسبة أمراً مرعياً"² فبالتالي المحدثون لم ينظروا إلى الفاصلة بوصفها مجرد شكلاً صوتياً فقط بل أن جمالها الصوتي مرتبط بالمعنى ارتباطاً وثيقاً فهي ليست قافية للتزيين وإنما عنصر يخدم الدلالة ويقوي أثرها.

¹ ينظر: د إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1952، ص301.

² ينظر: أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن، نخضة مصر ، القاهرة ، مصر ، 2003م ص72.

ثانيا: الحروف المقطعة

أ - الحروف المقطعة لغة:

-الحرف لغة:

عُرِّفَ الحرف في مادة (حرف): "الحرف من حروف الهجاء معروفٌ واحدٌ حروف التهجي. والحرف
الأداة التي تسمى الرابطة التي تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن ، وعلى ، ونحوهما"¹، وقال
الأزهري: "كل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني فاسمها حرف وإن كان بناؤها بحرفٍ أو
فوق ذلك مثل حتى وبل وهل ولعلّ وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفًا تقول: هذا
في حرف ابن مسعود أي قراءة ابن مسعود"²، وابن سيده "والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه ، . وما
جاء في الحديث من قوله عليه السلام: نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ، أراد بالحرف
اللغة"³ من خلال هذه التعاريف نستشف أن الحرف لغة هو الرابطة والقراءة واللغة .

أ -القطع لغة :

عُرِّفَ القطع في مادة (قطع): "إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلاً ، قطعهُ يقطعهُ قطعًا وقطيعَةً
وقطوعًا"⁴ منه القطعُ إبانة الشيء وإظهاره.

¹ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق، مادة (حرف) ، ص 838.

²ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق، مادة (حرف) ، ص 838.

³نفسه، ص 838.

⁴ابن منظور ، لسان العرب ، ص 3674.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

ب- الحروف المقطعة اصطلاحاً:

هي حروف من حروف الهجاء ، افتتح الله بها بعض سور القرآن تتكون من حرف أو أكثر ينطق كل حرفٍ بمفرده¹.

وعليه فإن الحروف المقطعة هي حروف التهجي التي افتتح الله عزّ وجلّ بها بعض سور القرآن ، وهي تسع وعشرين سورة حيث تختلف بنيتها من سورة لأخرى وجاءت على حرف فأكثر وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفاً يجمعها قولك "نص حكيم قاطع له سر " ، وجمعها السهيلي في قوله "ألم يسطع نور حق كره" .

وقد اختلف في تسميتها كثير من العلماء نذكر منها:

➤ فواتح سور القرآن .

➤ الحروف المقطعة في القرآن الكريم.

➤ الحروف الهجائية في القرآن الكريم.

➤ الحروف المقطعة في أوائل السور

➤ الأحرف النورانية في القرآن الكريم.

- موقعية الحروف المقطعية في السور الواردة فيها :

القران الكريم يضمّ مائة وأربعة عشر سورة ، منها تسع وعشرون سورة افتتحت بحروف مقطعة

مثل : ألم نحو : ألمّ، ألمص ، الأمر، كهيعص، طه، طس، طسم، حم، حمعسق.

¹ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص 119

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

وسنوضح فواتح هذه السور من خلال جدول يبين رقم السورة واسم فواتحها ، وبيان مكّيها ومدنيها وهو كالآتي:

➤ جدول فواتح السور¹:

رقم السورة	اسم السورة	الحروف المقطعة	نوع السورة
2	البقرة	المّ	مدنية
3	آل عمران	الم	مدنية
7	الأعراف	المص	مكية
10	يونس	الر	مكية
11	هود	الر	مكية
12	يوسف	الر	مكية
13	الرعد	المر	مدنية
14	إبراهيم	المّ	مدنية
15	الحجر	الر	مكية
19	مريم	كهيعص	مكية
20	طه	طه	مكية
26	الشعراء	طسم	مكية
27	النمل	طس	مكية
28	القصص	طسم	مكية
29	العنكبوت	الم	مكية
30	الروم	الم	مكية
31	لقمان	الم	مكية
32	السجدة	الم	مكية

¹القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع

**الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء
التجويد والتحليل اللساني المعاصر**

36	يس	يس	مكية
38	ص	ص	مكية
40	غافر	حم	مكية
41	فصلت	حم	مكية
42	الشورى	حم عسق	مكية
43	الزخرف	حم	مكية
44	الدخان	حم	مكية
45	الدخان	حم	مكية
46	الجاثية	حم	مكية
47	الأحقاف	ق	مكية
50	ق	ن	مكية
68	القلم	ن	مكية

نلاحظ من خلال الجدول ، تنوع السور المفتحة بالحروف المقطعة من حيث ترتيبها و نوعها بين المكى والمدني ، مع غلبة واضحة للسور المكية ، وهذا ما يدل على ارتباط هذه الحروف بمرحلة الدعوة الأولى التي ركزت على إثبات إعجاز القرآن وجذب انتباه السامعين، كما يتجلى من خلاله تنوع الحروف من حيث عددها وتركيبها ، مما يعكس جمالاً صوتياً وإيقاعاً متوازياً منسجماً مع مخارج الحروف وصفاتها كما بينه علماء التجويد.

يقول الزركشي : ما ابتدئ بحرفٍ اختلفوا فيه منهم من جعله اسماً لشئٍ خاص ومنهم من اعتبره حرفاً ، أما ما ابتدئ بثلاثة أحرف ففيه سر وذلك أن الألف إذا بدئ بها أولاً كانت همزة وهي أول المخارج من أقصى الحلق ، واللام من وسط اللسان وهي أشد الحروف اعتماداً على اللسان والميم

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

آخر الحروف من الشفتين وهذه الحروف الثلاثة هي أصل الحروف، أعنى الحلق واللسان والشففتين . وكل سورة استفتحت بهذه الحروف الثلاثة فهي مشتملة على مبدأ الخلق ، ونهايته وتوسطه مشتملة على خلق العالم وغايته وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر ، ذلك في سورة البقرة وآل عمران والسجدة والروم¹

ويقول محمد النسفي (ت710هـ): "ولم تجئ على وتيرة واحدة ، ، بل اختلفت أعداد حروفها مثل : ص ، وق ، ون ، وطه ، وطس ، ويس ، وحم ، والم ، والر ، وطسم ، والمص ، والمر ، وكهيعص ، وحم عسق ، فوردت على حرفين وثلاثة وأربعة وخمسة ، كعادة افتنناهم في الكلام"² هذا معناه أن الحروف المقطعة لم تأتي على انتظام واحد من حيث عددها فقد اختلفت وذلك لتبرز جانباً من الإعجاز البياني والإيقاعي في القرآن الكريم .

تنقسم الفواتح من حيث تكرارها إلى :

- فواتح لم تتكرر صورتها بل وردة مرة واحدة وهي:
- (ألمر ، المص ، كهيعص ، طه ، طس ، يس ، ص ، حم عسق ، ق ، ن)
- فواتح تكررت صورتها وهي:
- (الم ، الر ، طسم ، حم)

¹ ينظر الزركشي البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص 120

² أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تح: يوسف علي بدوي ، دار الكلم الطيب ، بيروت / لبنان ، ج1 ، ط1 ، (1419هـ ، 1998م) ، ص37

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

- بعض الفواتح المذكورة سالفًا تكررت كجزء من فاتحة أخرى ، ففاتحة (طس) متكررة في (طسم)، وفاتحة (ص) متكررة في (كهيعص و المص)، وفاتحة (ق) متكررة في (حم عسق) .

- الأصوات في الحروف المقطعة:

لقد حظيت الدراسات الصوتية باهتمام كبير منذ القدم ، إضافة إلى جهود التي قدمها المتخصصون في علم الأصوات ، ومن الملاحظ أن فواتح السور في القرآن الكريم تجمع كل الظواهر الصوتية العربية ، حيث وردت فيها كل الصفات والمخارج الصوتية ، مما يعكس الإتقان والتناغم الصوتي في الخطاب القرآني.

في هذا الشأن يقول الزمخشري (ت538هـ): "إذا تأملت حروف ما أورده الله عزّ سلطانه في الفواتح في الأسماء وجدها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء ، وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء ، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون ، في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم."¹

ثم أن المتأمل في الحروف المقطعة في القرآن الكريم يكشف أنها منتظمة وفق مخارجها وصفاتها ، في نسق صوتي محكم يبرز دقة البناء القرآني، مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها: (الصاد والكاف والهاء والسين والحاء) ، ومن المجهورة نصفها: (الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون) ، ومن الشديدة نصفها: (الألف والكاف

¹ ينظر: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكة، المملكة العربية السعودية، دط، دس، ص138

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

والطاء والقاف) ، ومن الرخوة نصفها: (اللام والميم والراء والصاد والطاء) ، ومن المنفتحة نصفها: (الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء) ، ومن المستعلية نصفها: (القاف والصاد والطاء) ، ومن المنخفضة نصفها: (الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون) ، ومن حروف القلقة نصفها: (القاف والطاء)¹ وما نراه هنا أن الزمخشري قد وسع في ذكر الأصوات الواردة في الحروف المقطعة ، فقد ذكرها مفصلةً غير مجملة ، وبعد هذا التقسيم الدقيق للأصوات عقب بقوله: ثم إذا استقرت الكلام تجد أن هذه الحروف هي الأكثر دورًا مما بقي دليله: أن الألف واللام لما كانت أكثر تداولًا جاءت في معظم فواتح السور ، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته².

من خلال هذا التقسيم ، يتضح أن الزمخشري يعد الحروف المقطعة الأربعة عشر المذكورة في فواتح السور القرآنية هي نصف حروف المعجم، هذا يدل أنه جعل مجموع الحروف العربية ثمانية وعشرون حرفًا.

- آراء العلماء القدامى والمحدثون واختلافهم في تفسير الحروف المقطعة :

لما كانت الحروف المقطعة سرًا من أسرار الله تعالى في كتابه المعجز التي وردت في أوائل السور لتثير التأمل ، وتكشف عن جانب من إعجازه البياني والصوتي، أتت أقوال العلماء حولها متباينة ،

¹ ينظر : نفسه ، ص 139

² ينظر : أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، مرجع سابق ، ص 139

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

نظرًا لاختلاف مناهجهم في التفسير ، الأمر الذي دعانا إلى عرض نماذج من أقوال المفسرين للوقوف على أبرز هذه الآراء.

1- آراء المفسرين القدامى:

يقول القرطبي (ت671هـ) ، اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور فقال عامر الشعبي وسفيان الثوري وآخرون هي سر الله في القرآن ، والله في كل كتاب من كتبه سرٌ فهمي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه ، ولا يجب أن يتكلم فيها ، ولكن أن يؤمن بها. وتكرر كما جاءت ، وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وذكر أبو ليث السمرقندي عن عمر وعثمان ، وابن مسعود ، أنهم قالو : الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر ، وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور ولا ندري ما أراد الله عز وجل بها.¹

من خلال ذلك نرى أن الحروف المقطعة حسب رأي مجموعة العلماء والباحثين أنها سرٌ من أسرار الله في إعجازه القرآني ، وأنها حروفٌ تحدى بها فصحاء وبلغاء العرب ، ويبقى سرها في أننا لا ندري ماذا أراد الله بها ، إلا الإيمان بها كما هي موجودة دون الخوض فيها.

في نفس المقال يقول الشوكاني(125هـ) : قال جماعة من العلماء "بل نحب أن نتكلم فيها ونلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها"². اختلفوا في ذلك أقوال عديدة منها¹:

¹أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تح: عبد الله بن الحسن التركي ، محمد رضوان عرق سوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، (1427هـ ، 2006م) ، ج1 ، ص237

²محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، الفتح القدير ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، (1428هـ ، 2007م) ، ص22

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

أ- رُوي عن ابن عباس ، وعلي أيضًا ، أن الحروف المقطعة في القرآن اسم الله الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها .

ب- قال قطرب والفراء وغيرهما: هي إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين تحدّاهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي التي بناء كلامهم عليها ، ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذ لم يخرج عنك كلامهم ، قال قطرب : كانوا ينفرون عند استماع القرآن ، فلما نزل ألم ، والمص واستنكروا هذا اللفظ، فلما أنصتوا له صلى الله عليه وسلم أقبل عليهم القرآن المؤتلف ؟ ليثبت في أسماعهم وآذانهم ، ويطبق الحجة عليهم .

ج- قال قومٌ رُوي أن المشركين لما عرضوا عن القرآن بمكة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت الآية 26] ، فأنزلها فاستغربوها فيفتحون أسماعهم فيسمعون القرآن بعدها ، وتجب عليهم الحجة . وقال جماعة : هي حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها ، كقول ابن عباس ، وغيره: الألف من الله، واللام من جبريل عليه السلام والميم من محمد ...²

د- "قال ابن عباس أيضًا : هي أسماء الله أقسم بها .

هـ- قال زيد بن أسلم: هي أسماء للسور .

و- قال قتادة: هي أسماء للقرآن كالفرقان والذكر.

¹ ينظر: نفسه، ص22

² ينظر: الشوكاني ، الفتح القدير ، المرجع السابق ، ص 22

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

ز- قال مجاهد: هي فواتح سور.¹

ح- أنها حروف قصد منها تنبيه السامع مثل النداء المقصود به التنبيه في قولك يا فتى لإيقاظ ذهن السامع.²

ط- "أنها علامة لأهل الكتاب وُعدوا بها من قِبَل أنبيائهم أن القرآن يفتح بالحروف المقطعة"³

ي- قيل: "أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم ، ألا ترى أنك تقول (الر، وحم، و ن) فيكون مجموعها الرحمان وكذلك سائرهما ، ولكن لم يتهياً تأليفها جميعاً".⁴

ك- "قيل هي من حروف الجمل ، أو ما يسمونه حساب أبي جاد ويعنون به الأبجدية أبجد هوز حطي كلمن..⁵

ل- إن هذه الحروف مدة أقوام ، ومقدار آجالهم ، ⁶

م- "حروف للدلالة على انقطاع كلام ، واستئناف كلام جديد ، ، وقال الكلبي: إنها قسمٌ ، وقيل: إنها حروف ثناء أثنى الله بها على نفسه ، أو للدلالة على أنه مؤلف لا قديم"⁷.

¹ أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، في تفسير الكتاب العزيز ، دار ابن الحزم ، ص 49

² الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، ج 1 ، ص 214

³ نفسه ، ص 215

⁴ محمد علي طه الدّرة ، تفسير القرآن الكريم إعرابه وبيانه ، دار ابن كثير ، دمشق/بيروت ، ط 1 ، (1430هـ ، 2009م) ،

مج 1 ، ص 30

⁵ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية ، دار المعارف ، القاهرة ،

ط 3 ، دس ، ص 145

⁶ ابن أبي الأصبع المصري ، الخواطر السوانح في أسرار الفواتح ، تح: حنفي محمد شرف ، المكتبة العربية ، دمشق ، دط ، دت ،

ص 42

⁷ نفسه ، ص 43

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

ن- "إن الله أودع السور المفتحة بفتحة معجمة من الأحكام والقصص في حروف فاتحتها ، ولا يعرف ذلك إلا نبي أو ولي ، ثم يعد فيسببه في السورة ليفقه الناس جميعًا وقيل غير ذلك"¹.

إذن هذه الحروف لا ينتهي القول فيها عند حد ، ولا يتوقف عند رأي ، فلكل عالم مفسر رأي ولكل وجهه ، وسيظل الكلام فيها يتغير يتجدد من جيل بعد جيل ، وسرها عند الله سبحانه وتعالى ، وذلك حتى يبقى القرآن معجزا متجددا لا يزول ، وهذا الاختلاف وتجدد الرأي من حين إلى حين علامة على إعجاز القرآن الكريم وآية على العقل الإنساني لازال في حيرة من أمره ، وقاصرا على إدراك حقائق الإعجاز.²

ومن هنا نرى أن الحروف المقطعة قد فسرت وفق آراء المفسرين والباحثين، كل على حسب فكره واجتهاده الخاص ومنهجه في البحث ، فلم تستقر على رأي جامع ثابت ، فقد اختلفت وتعددت التفاسير من عالم إلى آخر ، وكثرت حولها التأويلات والمحاولات عبر العصور، وستبقى هذه المحاولات متجددة مادام القرآن الكريم صالحًا لكل زمانٍ ومكان ، ومادام العقل البشري يسعى إلى الفهم والتدبر، وفي هذا تتجلى عظمة القرآن العزيز وإعجازه في معانيه السامية وأسلوبه البليغ.

2- آراء المحدثين والمعاصرين :

بعد أن تحدثنا عن رأي التراثيين حول الحروف المقطعة دارت في مجملها كونها: من أسرار إعجاز القرآن أو أسماء الله العظيمة، وغيرها، الآن ننتقل إلى الوقوف عند اجتهادات العلماء المحدثين

¹ ابن أبي الأصبع المصري، الخواطر السوانح في أسرار الفواتح، المرجع السابق ، ص43

² ينظر : د عبد الفتاح لاشين، ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، دار الرائد العربي، بيروت/لبنان، ط1، (1402هـ،

1982م)، ص44

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

والمعاصرين في تفسير هذه الظاهرة . فهل جاءت آراؤهم إضافة نوعية تكشف أبعادًا جديدة أم أنها لم تخرج عن دائرة ما قاله الأوائل ؟ هذا ما سنحاول تبيان من خلال عرض أبرز توجهاتهم وتحليل مناهجهم في فهم الحروف المقطعة.

بداية مع قول محمد شحرور : "الحروف المقطعة من السبع المثاني ، بمعنى أنها سبع فواتح للسور، كل منها آية منفصلة في ذاتها . فإذا نظرنا إلى فواتح السور نرى فيها السبع المثاني وهي: (الم، المص، كهيعص، يس، طه، طسم، حم)."¹

ويقول: إذا سأل سائل: ما هي إذ: الر ، المر، طس، ن، ق، ص؟

أقول: أن هذه حروف كل منها جزء من آية ، وليس آية منفصلة تامة في ذاتها ، فالآية الأولى في سورة القلم نون وهي: "نون والقلم وما يسطرون" القلم: الآية 1، أما الآية الأولى من سورة البقرة فهي (الم) وأما (عسق) فهي ليست فاتحة لسورة ، لأنها الثانية في سورة الشورى والآية الأولى هي (حم)²، إذن هو جعل فواتح السور السبع التي ذكرها أعلاه من السبع المثاني وأنها سبع آيات وفي الوقت نفسه سبع فواتح . كما قال ليست كل الفواتح منفصلة ومستقلة وإنما توجد فواتح هي الجزء من الآية وليست آية ، أو هي الآية الثانية كما لاحظنا في سورة الشورى .

كما قال : أن عدد الحروف "الأصوات" الموجودة في الآيات السبع المذكورة أعلاه تتألف من إحدى عشر حرفًا *11* "صوتًا".

"الألف ، اللام ، الميم ، الصاد ، الكاف ، الهاء ، الياء ، العين ، الشين ، الطاء ، الحاء .

¹ ينظر: محمد شحرور: الكتاب والقرآن ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا /دمشق ، دط، دت ، ص 98

² نفسه ، ص 98

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

وبقية الحروف الموجودة في الحروف المتبقية ، الر ، الم ، طس ، عسق ، ن ، ق ، ص ، ... فترى فيها ثلاثة حروف "أصوات" غير موجودة في آيات السبعة الفواتح (القاف ، الراء ، النون) ... وعندما نضيف هذه الحروف إلى السبعة فواتح التي تشمل 11 حرف يصبح المجموع 14 حرف "صوت" بمعنى (7×2) وهي أيضاً من السبع مثاني¹.

والتأمل في الحروف التي استنتجها شحرور في الفواتح يجد مجموعها 14 حرف "صوت" وهي تمثل نصف الحروف الهجائية المعروفة .

ولقد استنتج شحرور من حروف "أصوات" السبع مثاني ما يلي:

- أنها أعطت مقاطع صوتية يتألف منه أصل الكلام الإنساني.
- أن عدد الأصوات الأحد عشر في الآيات السبع الفواتح تشكل الحد الأدنى لأي كلام إنساني.
- ما توصل إليه المحدثون من علماء اللغويات واللسانيات من أن العدد 11 يشكل الحد الأدنى لأي لغة إنسانية ، ويمثلون له بلغة البروتوكاس.

- أن الأصوات تحمل الصيغة الكونية فلو كانت هناك مخلوقات عاقلة في الكون فطريقة التواصل معها هي طريقة صوتية².

ومنه يرى شحرور واللسانين أن أصل اللغة تتكون من 11 حرفاً ولا نقل عليها أنها لغة ما لم تشمل على هذا الحد الأدنى لحروفها وهو 11 حرفاً ، كما يقرر شحرور أنها وسيلة وطريقة للتواصل مع مخلوقات عاقلة موجودة في الكون حسب اعتقاده .

¹ محمد شحرور : الكتاب والقرآن ، المرجع السابق ، ص 98.

² نفسه ، ص 98

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

"وشحور يُخمن دون القطع أنه إذا تيسر لنا لقاء بعقلاء في كوكب آخر غير الأرض إذا أردنا أن نتفاهم معهم أو نثبت إليهم فعلينا أن نستعمل هذه الأصوات الأحد عشر لأنني أعتقد أنها القاسم المشترك للأصوات التي يمكن أن تصدر عن العقلاء ، والله أعلم"¹

مضمون هذا الكلام ، أنه يقرُّ بوجود مخلوقات غيرنا في كوكب آخر وأن طريقة التواصل مهم صوتية ، وبهذه الحروف ، هذا يبين إضافة جديدة مخالفة عمّا سبق ، اجتهداً منه في تفسير وطاء رأيه في هذه الحروف وهي رؤية تبقى حيز التخمين وليس الجزم بحقيقتها فعلاً .

و لدينا رأي العالم رشيد رضا ولعل أهم ما قاله عن الحروف المقطعة هو :

"أنه بعض الشيعة عنوا بحذف المكرر من هذه الحروف وصياغة جُمْل مما تبقى منها في مدح علي المرتضى كرم الله وجهه أو تفضيله وترجيح خلافته وقبولوا بكل أخرى مثلها تنقض ذلك.... كما قال: لا يزال يوجد في الناس حتى علماء التاريخ واللغات منهم من يرى أن هذه الحروف رموز إلى بعض الحقائق الدينية والتاريخية ستظهره الأيام..."²

يبين لنا طرح رشيد أن الشيعة فهموا أن الحروف المقطعة عند حذف بعض الحروف منها وهي المكررة تبقى في زعمهم مدح لعلي -رضي الله عنه - وهذا أمر لا صحة له .

¹ ينظر: محمد شحور :الكتاب والقرآن ، ص 99.

² محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم المنار ، دار المنار ، القاهرة ، ط2 ، (1366هـ، 1947م)، ج1،

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

وقوله الثاني يبين لنا أن هناك فئة من الناس وعلماء التاريخ أن هذه الحروف هي رموز تكشف عن بعض الحقائق الدينية ستظهر وتتجلى للملأ مع مرور الأيام ، وهو أن يظهر لنا أن البحث عن هذه الحروف لا يزال قائماً وتبقى الدراسات مفتوحة في هذه القضية .

كما أن رشيد رضا: يقول :بأن حكمة افتتاح هذه السور و أمثالها ليس لها مفهوم... وأنه أُريد بها تنبيه السامع إلى ما سيلقى عليه هذا بعد الصوت من كلام حتى لا يفوته شيء.¹

ومنه نرى أن الحروف المقطعة أتت على هذا الشكل للتنبيه ولفت انتباه السامع حتى يستمع إلى ما سيلقى عليه، بمعنى أنها المنبه وعلى المستمع التأهب إلى ما سيأتي بعدها .

ومن المفسرين الذين قالوا أن هذه الحروف وردت للتنبيه كحروف التنبيه التي تقع في أول الكلام مثلاً ألا ويا وغيرها ، نجد هذا عند وهبة الزحيلي.²

كما نجد محمد الطنطاوي ، الذي يقول بأن هذه الحروف وردت للتحدي وجلب أنظار المعرضين عن استماع القرآن حتى يتلى عليهم³

ومنه نلاحظ أن هؤلاء العلماء لم يخرجوا عن تفسير القدامى للحروف المقطعة وأنهم لم يأتوا بالجديد في آرائهم وإنما قالوا أنها وردت للتنبيه ولفت الانتباه ، وجلب أنظار المعرضين عن استماع القرآن ، لأن المتأمل في كتبهم وآرائهم يجد أنهم قبل الإدلاء برأيهم عن معنى هذه الحروف يرجعون إلى

¹ محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم ، مطبعة المنار، مصر ، ط1 ، 1298هـ ، ج8، ص296

² ينظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي ، ، التفسير المنير في العقيدة والمنهج ، دار الفكر المعاصر ، دمشق، ط2، 1418هـ، ج16، ص50

³ ينظر: محمد السيد الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة مصر للطباعة والتوزيع، الفجالة/القاهرة، ط1، دس، ج1، ص39

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

أقوال المفسرين الذين سبقوهم ، كتفسير قطرب وابن عباس ...، ولعل المعاصر الوحيد الذي كان رأيه مخالفاً هو محمد شحرور الذي ذكرنا رأيه سابقاً .

ثالثاً - التناسب الصوتي في القرآن الكريم:

أ- لغة:

يقول ابن فارس (ت395هـ): "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء ، منه النسب سمي لاتصاله والاتصال به " ¹، "والنسب القرابة ، ناسبه أي شاركه في نسبه ، فلان نسيبي أي له علاقة تجمعهم بي ، ويقال ليس بينهما أي مشاكلة ، أي ليس بينهما علاقة أو اتصال ². يقول الراغب الأصفهاني(ت502هـ): "والنسب النسبة اشتراك من جهة أحد الأبوين وذلك ضربان: نسب بالطول ، كالاتحاد بين الآباء والأبناء ، والنسب بالعرض كالنسبة بين الأخوة والأعمام " ³، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤﴾ ⁴

¹ ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، مادة (نسب)، ج5، دط، (1399هـ-1979م)، ص423
² ابن منظور، لسان العرب ، مادة(نسب)، ص4405
³ الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن تح: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، دمشق، ج1، ط1، 1412هـ، ص801
⁴ سورة الفرقان، الآية54

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

انطلاقاً من هذه الأقوال ، التناسب على حسب المعنى اللغوي يعني الربط واتصال الشيء بالشيء والانتماء إليه .

ب- اصطلاحاً :

ذكر العلماء والباحثون تعريفات متعددة للتناسب القرآني ، من أبرزها ما أورده الإمام البقاعي¹ في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، هو: "علم تعرف به علل ترتيب أجزاء القرآن ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال ، وتتوقف الإجازة فيه على معرفة مقصود الآية..."²

ويقول الشيخ عبد الحميد الفراهي³، أطلق على التناسب اسم النظام "ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملة ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة..."⁴، لهذا نرى القرآن كله كلاماً واحداً منسجماً في مناسباته وترتيب أجزائه من أوله إلى آخره ، إذ تقوم آياته وسوره على نظام

¹ أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ ، مفسر ، محدث وأديب ، ولد ببلبنان قرية (روحا) سنة 809هـ - 1406م ، توفي بدمشق 885هـ - 1480م ، له كتب عديدة منها: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، ونظم الدرر في تناسب الآيات السور . ينظر: عادل نويهض ، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، تقديم: حسن خالد ، المجلد 1، ط1، 1403هـ/1983 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، ص 17

² برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تصحيح وتعليق: محمد محمد عمران الأعظم الأنصاري العمري ، ج1، ط1 ، (1403هـ - 1984م) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص6

³ هو العلامة عبد الحميد بن عبد الكريم أبو أحمد حميد الدين الفراهي الهندي ، ولد بفريها) سنة 1280م ، توفي مدينة منشور في الهند سنة 1349هـ ، لغوي وحافظ القرآن ، أتقن العربية الفارسية ونظم الشعر فيهما ، من كتبه إمعان أقسام القرآن . ينظر: صبحي ، اليازجي ، الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفراهيدي وسيد قطب ، (دراسة مقارنة) ، أطروحة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2001م ، ص56-79

⁴ عبد الحميد الفراهي ، دلائل النظام ، المطبعة الحميدية ، 1388هـ ، ص75

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

دقيق من الترابط والتناسق ، فالسورة مهما تنوعت قضاياها تبقى وحدة كلامية متماسكة ، يربط أولها

بآخرها ، وتتآزر جملها لخدمة غرض واحد ، على نحوٍ يشبه ترابط الجمل داخل القضية الواحدة¹

وعرفه السيوطي : "ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها ، عام أو خاص ، عقلي

أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ، كالسبب والمسبب والعلة

والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه"²

خلاصة القول في التعريف المناسب هو ما ذكره أحمد عبد الغفار في كتابه "حول القرآن"، الذي

يقول فيه: "هو توارد الكلام في سياق دلالاته من وراء تناسق النظم وتعايقه ، سواء في نظم

الكلمات القرآنية ، أو ترابط الآيات ، أو ترتيب السور"³.

ونجد للتناسب مصطلحًا قائمًا بذاته في التحليل اللساني بلفظ ISO TOPIE ويتكون من

الجذريين اليونانيين أحدهما ISOS الذي يعني: يساوي أو مساوٍ ، والآخر TOPOS ومعناه

:المكان ، أي المكان المتساوي أو تساوي المكان.⁴ من خلال ما سبق نصل إلى أن التناسب يعني

المقاربة أو المشاكلة أو الارتباط ويكون ذلك بين الألفاظ من حيث البنية أو الدلالة.

¹ ينظر: محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، ط1 ، (1417هـ/1997م) ، دار طيبة ، السعودية، ص

147

² السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج2، ص103

³ أحمد عبد الغفار ، حول القرآن ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، دط ، 2003م ، ص99.

⁴ ينظر: مقدوري زموري /أمال شوكي ، التناسب في القرآن الكريم ، مذكرة ماستر ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، (2017م) -

(2018م) ، ص13

- التناسب الصوتي بين القدماء والمحدثين:

1- عند القدماء:

تناول القدماء التناسب الصوتي ضمن مباحث عديدة منها اجتناب التنافر الصوتي والمشكلة والتجنيس .

أ- اجتناب التنافر الصوتي: .

نقصد باجتناب التنافر الصوتي التناسب والانسجام بين الأصوات ومن مظاهر اجتناب تتابع الأصوات المتماثلة أو المتقاربة ، عدم الجمع بين ظائين في سياق واحد ، ويظهر ذلك في نحو قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾¹ وقوله كذلك: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾²

في هذا الشأن يقول الخطيب الإسكافي ، " لم يذكر الظاء في الآية الأولى لتقدم الظاء في المبتدأ بعد (لو) ، والظاء تعز في كلام العرب ، ألا أنها ليست لأمة من الأمم سوى العرب ، فلما اختصت بلغتها وتجنبت إلا فيها ، استعملت في الآية الأولى مباشرة بعد (لو) واستعملت الآية الثانية

¹ سورة النحل الآية 61.

² سورة فاطر، الآية 45.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

جواب ما بعد (لو) وأجريت مجرى استعمل من الحروف ، فلم يجمع بينهما في جملتين معقودتين عقد كلام واحد ، وهو ما بعد (لو) وجوابها حسن التأليف وقصد الحروف مراعي في الفصاحة لا يخفي على أهل البلاغة" ¹ إذن التنافر هو ما يلحق الكلمة المفردة أو التركيب اللغوي من ثقل اللسان الذي هو آلة النطق، مما يخل بانسجام اللفظ وسلاسته لذلك وجب تجنب أسبابه والتخلص منها .

ب-المشكلة والتجنيس:

إن المشكلة والتجنيس لوان من ألوان البديع ، والمشكلة بمفهومها العام أصل من أصول العربية، تطلب في الكلام ، ويترك لأجلها ما هو قياس في الصرف أو الإعراب ، ويعتمدها الفصحاء ، لما لها من قيمة جمالية ²

ومن صور المشكلة ، مشكلة المجازاة وهي : تسمية الجزء على الفعل باسم الفعل ، أو تسمية الفعل باسم الجزء ، وهي تعد من أول صور المشكلة اللفظية ونجدها بكثرة في الآيات التي تضمنت الإشارة إليها إلى جزء الله تعالى على الأفعال السيئة كالاستهزاء والخداع ، والمكر، ونسيان الله وآياته في الدنيا ³

ومن مشكلة المجازاة التعبير بالاستهزاء قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ

¹ الطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، درة الترتيل وغرة التأويل ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4 (1401هـ-1981م)، ص 266

² أحمد أبو زيد، التناسب البياني، ص255.

³ نفسه ، ص 256.

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

مَنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾¹ سَمِىَ اللَّهُ تَعَالَى عِقَابَهُ بِاسْمِ الذَّنْبِ الَّذِي اقْتَرَفَهُ الْكَفَّارُ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ السَّخَرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَذَلِكَ مِنْ بَابِ الْمَشَاكَلَةِ .

ونجد في التجنيس مظهر آخر حيث نجد اتفاق اللفظتين في وجه من الوجوه واختلاف معناهما وهو ما يعرف عند البلاغيين بالجناس أو التجانس² ذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ٥٥﴾³ هنا وردت لفظة "ساعة" مرتين الأولى بمعنى يوم القيامة والثانية هي المدة الزمنية من الوقت .

2- عند المحدثين:

اتسع الاهتمام بالظواهر الصوتية في القرآن الكريم ، فلم تعد عناصر شكلية فحسب ، بل أصبحت مكوناً أساسياً في بناء الدلالة والتوازي ، مما دفع المحدثين إلى إبراز التناسب الصوتي ودوره في تشكيل المعنى والأثر الجمالي. ومن هؤلاء العلماء نذكر مصطفى صادق الرافعي و سيد قطب .

أ- عند الرافعي: تكمن فكرة إعجاز النظام الصوتي عند الرافعي في أمرين هما:

¹ سورة التوبة ، الآية 79

² ينظر: العلوي يحيى بن حمزة ، الطرز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، ط 1، صيدا ، بيروت، (1423هـ، 2002م، ص301.

³ سورة الروم ، الآية 55

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

- توزيع حروف الكلمة والكلمات المجاورة لها على أعضاء النطق توزيعًا خاصًا ، أو ترتيب وتوزيع الحروف ذات الصفات والمخارج الخاصة توزيعًا يؤدي إلى التوازن والانسجام والسهولة ، مع ما يترتب على ذلك من استهواء نفسي .

- قواعد التلاوة التي تراعي المدّ والإدغام والإخفاء والإظهار والغنن والجهر والهمس والقلقلة.... فإن مراعاة هذه القواعد يؤدي إلى نفس النتيجة أي التوازن الذي يحق الاستهواء النفسي¹

نفهم من هذا الكلام أن النظام الصوتي عند الرافعي هو ذلك التوازي الناشئ عن انسجام الحروف ومخارجها وصفاتها والتي تؤدي إلى الاستهواء النفسي ، ومعنى هذا أن الإعجاز الصوتي عند الرافعي لا ينحصر فقط على التناسب الصوتي ، بل يتعداه إلى الأثر الذي يترتب عنه في النفوس البشرية من ترتيبها وتوزيعها.

ب- عند سيد قطب: يرى سيد قطب أن إدراك التصوير لا يأتي إلا بالتوسع في معناه "فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخييل ، كما أنه تصوير بالنعمة تقوم مقام اللون في التمثيل وكثيرًا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور ، تتأملها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان²

¹ ينظر: محمد إبراهيم شادي ، إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التمييز ، مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، ص86

² ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط7، (1402هـ-1982م)، ص37

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

من ألوان التناسق والتناسب القرآني التي تحدث عنها سيد قطب ذلك التوازي الموسيقي الناتج عن تخير الأصوات والألفاظ ونظمها في نسقٍ واحد¹.

وهكذا فإن التناسب الصوتي ظاهرة راسخة في النظم القرآني ، تنبه إليها القدماء من علماء العربية ، كما حظيت بعناية كبيرة لدى الدارسين المحدثين ، الذين أسهموا في استكمال ما لم يفصل فيه الأوائل ، نظرًا لتصورهم للنظم الذي كان يعلي من شأن التركيب والتأليف والعلاقات بين الأجزاء مبرزين القيمة الدلالية لناسب الصوتي في القرآن الكريم.

- تجليات التناسب الصوتي في القرآن الكريم :

الكلمة عبارة عن حزمة من الأصوات عندما تجتمع تدلنا على معنى معين ، وهذا يدل على الارتباط القوي بين الصوت والمعنى ، فاللفظ في حقيقته يعبر عن أصوات معينة وكل صوت قد يكون له دلالاته الخاصة به كالتفخيم والشدة واللين والهمس والتكرار وغير ذلك .

ولابد في وضع الألفاظ من مراعاة الملائمة بين أصواتها والموضوع إذ هي محاكاة للشيء الموصوف ، لهذا ينظر إلى الكلمات في ذاتها وما تحمله من أصوات ، وتأثير هذه الكلمات بأصواتها إذا ما انتظمت مع غيرها من الكلمات في تتابع وتعاقب يحقق الانسجام الصوتي².

¹ ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص 87

² ينظر: مصطفى شعبان عبد الحميد ، المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي، كلية الآداب واللغات - جامعة الإسكندرية، (1428هـ / 2007م) ، ص 232

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

ينبغي النظر إلى اللفظ من حيث هو مجموعة من الخصائص الصوتية ، كما تتبدل قيمته

الصوتية تبعًا لانتظامه مع غيره من الألفاظ داخل السياق، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها:

- **قوة الصوت** : كإظهار : تجتمع فيه صفات الجهر ، الشدة الإطباق ، الاستعلاء... وهي من

صفات القوة.

- **ضغط الصوت** : كإظهار : مهموسة ، رخوة ، منفتحة ، خفيفة، وهي من صفات الضعف.

- **طول الصوت وقصره**: يظهر بوضوح في حروف المد (الألف ، الواو ، الياء)، يمد فيها الصوت

زمنًا أطول مقارنةً بالحركات القصيرة (الفتحة ، الضمة ، الكسرة).

وصفوا القدماء الأصوات بالقوة والضعف ووصفوا لها الحركات أيضًا ، فالحركات ما هي إلا

أصوات مد قصيرة.

قالوا الضمة حركة قوية ، والفتحة حركة خفيفة ، والكسرة متوسطة ، وذهب بعضهم إلى أن

الضمة تدل على العلو والصعود والكسرة تدل على الانخفاض والهبوط ، والفتحة تدل على الاعتدال

وصوت الحركات بذلك مستمد من صناعة الموسيقى.¹

إذا تأملنا القرآن الكريم نجده يراعي الخصائص الصوتية للألفاظ بما يتناسب مع السياق الوارد

فيه ، فإن كان السياق يقتضي التهويل والتفخيم جاءت الألفاظ محملة بسمات صوتية تدل على

ذلك ، كزيادة في بنية الصوت أو تفخيمه ، وإذا دلّ السياق على التردد أو الحيرة ، انعكس ذلك في

¹ د أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن ، ص 292

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

تكرار الأصوات أو اضطراب إيقاعها ، أمّا إذا اقتضى المعنى التمهّل والصبر أو التباطؤ ، تجلّى ذلك في امتداد الحركات وتراخي النطق ، وقد تأتي الألفاظ أيضاً في وفي هذا الحديث ، يقول مصطفى صادق الرافعي: " وحسبك لهذا اعتباراً في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن وأنه مما لا يتعلق به أحد ، ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه ، إلا في ترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها ، ومناسبة بعض ذلك لبعض ، مناسبة طبيعية في الهمس والجهر والشدة ، والتفخيم والترقيق ، والتفشي والتكرير وغير ذلك"¹

ومن أمثلة التناسب بين اللفظ والسياق اللغوي:

- تكرار الصوت: ومثال ذلك لفظة (كبكبا) في قوله تعالى: ﴿وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ٩١ وَقِيلَ لَهُمَ إِنِّي مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٩٢ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمَاَوْ يَنْتَصِرُونَ ٩٣ فَكَبِكَبُوا فِيهَا هُمُ الْغَاوُونَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ٩٥﴾²

استبدل التعبير القرآني عن لفظ (كبوا) إلى لفظ (كبكبا) لاحتوائه على صوتي الكاف والباء الشديديتين الانفجاريّتين ثم تكرارهما ليدل ذلك على المبالغة والشدة المناسبة للسياق ، لأن الآيات هنا تتحدث عن الكافرين ، وهم عبدة الآلهة، كما قال الزمخشري: " فتكرير اللفظ دلالة على تكرير المعنى فالكبكة تكرير الكب ، إذا ألقوا في النار فإنهم يكون مرة بعد مرة حتى يستقروا فيها"³.

¹ مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن ، ص 213-214

² سورة الشعراء ، الآيات من 91 إلى 95

³ مصطفى شعبان عبد الحميد ، المناسبة في القرآن ، ص 151-154

الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر

-زيادة الصوت: زيادة الصوت في اللفظ تعطيه طاقة إيجابية لا توجد في اللفظ نفسه ، مثل

كلمة (مقتدر) إذا ما قورنت بلفظ (قادر) أو (القدير) ، كما قال ابن جني : " فاقتدر أقوى معنى من قولهم قَدَّرَ " ¹ الحديث هنا عن فرعون وقومه فأخذهم عن استكبارهم وطغيانهم لا يكون إلا ممن يتصف بالقوة وشدة البأس ، فجاء بلفظ مقتدر الذي يعطي هذا المعنى كما أشاء ابن جني .

وقد تفخم التاء الزائدة في بعض الألفاظ فتتجول إلى صوت الطاء كما وصفه سيبويه : " هو النظير المفخم للتاء " ² ، فهو صوت شديد مطبق ، وفي حالة النطق بالطاء يكون اللسان مقعراً ، أما التاء فهي مرققة .

كذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾ ³ ، جاء التعبير القرآني بلفظة "يصرخون" بدل "يصرخون" ، فلكل زيادة في المبنى زيادة في المعنى ، إذ تدل على التفخيم لاحتوائه على صوت الطاء ، والصاد أيضاً ، بما يتناسب مع مقام التهديد والتهويل للكافرين لما يرونه من عذاب ، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٨٦﴾ ⁴ حيث يتجلى دوام العذاب وشدته ، فينسجم البناء الصوتي للألفاظ مع هول المشهد.

¹ مصطفى شعبان عبد الحميد ، المناسبة في القرآن ، ص 134

² مصطفى شعبان عبد الحميد ، المناسبة في القرآن ، المرجع السابق ، ص 135 - 136

³ سورة فاطر ، الآية 37

⁴ سورة فاطر، الآية 36

- الثقل في النطق: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ ٣٨﴾¹ هنا لفظ "انآقلتُم" وأصلها "تتآقلتُم" ، فأدغمت في التاء فصارت
تاء ساكنة فابتدأت بألف وصل² يحقق المناسبة بين اللفظ والسياق ، لأنه يصف تتآقلتُم
وتتآعستُم ، وخلودهم إلى الأرض ، واستشعارهم مشقة الجهاد ، وعزوف أرواحهم عنه ، وقد
دعوا إليه في عام العسرة ، فكان منهم ما وصفت الآية ، لذا جاء التهديد البالغ ليوأجه تتآذل
أرواحهم³ فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا
تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٣٩﴾⁴

كانت هذه بعض الصور الدالة على التناسب الصوتي حيث يتجلى انسجام اللفظ مع المعنى
من خلال : تكرار الأصوات ، زيادة المبنى ، ثقل النطق بما يعكس دقة التعبير القرآني وإحكام
نظمه، وهو ما يؤكد أن البنية الصوتية في القرآن الكريم ليست اعتباطية ، بل هي عنصر دلالي يسهم
في تجسيد المعاني وتقويتها، ويكشف عن جانب من إعجازه البياني.

¹ سورة التوبة، الآية 38

² الزمخشري ، الكشاف ، ص 271

³ مصطفى شعبان عبد الحميد ، المناسبة في القرآن ، ص 157

⁴ سورة التوبة ، الآية 39



الخاتمة

بعد رحلة من البحث والتأمل في موضوعنا ، ها نحن نأتي إلى إتمام هذه المذكرة المعنونة ب " جمالية التوازي الصوتي في القرآن الكريم بين علم التجويد والتحليل اللساني المعاصر " والتي ركزنا فيها على ما ورد في كتاب الله ن شواهد و دلالات ، وقد سعينا إلى عرض المادة العلمية بصورة واضحة ومنظمة ، راجين أن نكون قد وفقنا في تقريب الفكرة وإبراز جوانبها الأساسية ويبقى هذا العمل جهداً بشرياً قابلاً للتكملة والتطوير.

وهذه أبرز النتائج التي توصلنا إليها:

- يتميز الأسلوب القرآني بسموّ في بنائه وعمق في مضمونه ، متعالياً على أن يقاس بكلام البشر، سواء أكان شعراً أم نثراً .
- يعتبر الصوت اللغوي مادة الدراسات اللغوية على اختلاف فروعها، لما يتميز به من خصائص دقيقة ترتبط بالجهاز النطقي ، وقد أصبح الصوت محوراً مهماً في عملية التواصل ، من خلال تحليل العلاقة المنسجمة بين بنيته الصوتية ودلالته المعنوية ، ومن ثم الكشف عن كيفية تفاعل الصوت مع المعنى في بناء الخطاب اللغوي.
- يسهم التوازي الصوتي في تحقيق الانسجام بين اللفظ والمعنى ، ويعزز الأثر الجمالي للنص القرآني.
- يكشف انتظام الأصوات في القرآن الكريم عن دقة النظم وإحكام البناء .
- لم يستغنِ الدرس الصوتي الحديث عمّا أمدته به الدراسات العربية القديمة ، وأصبحت كلاً متكاملًا لا يتجزأ ن ودليله تطور "علم الفونتيك " الذي برز فيه العرب القدامى بالإضافة إلى

إسهامات المحدثين الغربية إلى علم وظائف الأصوات "الفونولوجيا" ، مما يتيح الفرصة لإطلاق الحكم بأصالة علم الأصوات العربية .

- يكمن التكامل بين علم التجويد والتحليل اللساني المعاصر في فهم الظاهرة الصوتية ، مع اختلاف زاوية المعالجة بينهما ، وذلك من حيث تركيز التجويد على الأداء وضبط التلاوة ، في حين ينصرف التحليل اللساني إلى تفسير الظاهرة الصوتية ووظائفها الدلالية.

- يعزز البعد الجمالي في القرآن الكريم أساليب التصوير والتجسيد ، حتى يبدو للقارئ كأنه يشاهد الأحداث والوقائع مشاهدةً مباشرةً .

- نظام المقاطع الصوتية في البنى والتراكيب من المكونات الصوتية الهامة في بناء الخطاب القرآني ، لأنه يقوم على مبدأ التناسب الذي يسمح للمرتلين بترتيل آيات القرآن الكريم ، فإذا دعا الخطاب القرآني نفسه إلى ضرورة ترتيله وجودة أدائه ، فلا غرو أن الغاية تمام التدبر والتهيم والاستعداد لعملية التلقي التي تنساب مع نظام الأصوات والمقاطع انسياباً شافياً.

وهذا تمام ما يسره الله من نتائج في هذا البحث ، وإنّ هذا الموضوع وإن بذل فيه من جهد متواضع، فإنه يظل مجالاً واسعاً للبحث والتأمل لما يحمله من صلة وثيقة بكلام الله رب العالمين وما يزخر به من أسرار بلاغية وصوتية لا تنقضي .

وعليه فإن ما تم التوصل إليه ليس إلا خطوةً في طريقٍ طويل وبدايةً اجتهد يحتاج إلى مزيد من تعمق والاستزادة ، سائلين الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يرزقنا جميعاً الفهم في كتابه والعمل به إنه ولي ذلك والقادر عليه ، والحمد لله رب العالمين.



قائمة المصادر

والمراجع

أولاً: المصادر:

1- المعاجم والقواميس:

- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، 1119.
- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.
- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، 1979م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
- مجد الدين يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2013م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008م .

ثانياً : المراجع

1- كتب

القرآن الكريم برواية ورش

- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة النهضة مصر ومطبعتها، مصر، دت.
- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1952م .
- ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حنفي محمد شرف، القاهرة، 1963م.
- ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسن البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1975.

- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دت.
- ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا :معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، مادة (نسب)، 1399هـ/1979م.
- أبو الفتح ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993م .
- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر ، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ-1952م.
- أبي البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ/1998م .
- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1996م .
- أبي الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق د حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1993 .
- أبي الفرج قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1399هـ .
- أبي بكر بن محمد الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة .
- أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، التحديد في الإتيان والتجويد، تحقيق د غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط1، 2000م .
- أبي نصر الفارابي، الموسيقى الكبير، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت .
- أحمد أبو زيد، التناسب البياني.
- أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نخضة مصر، القاهرة، 2003م
- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م .

- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الكرامة، ط2، 2013م .
- أحمد طيبي، التناغم والمماثلة في اللسانيات التوليدية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016م .
- أحمد عبد الغفار: حول القرآن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003م
- أحمد قاسم الزمر، معالم أسلوبية عند ابن الأثير في كتاب المثل السائر، مجلة المورد، 2002م .
- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997م
- أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1989م .
- الإمام بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، 2006م .
- الإمام محمد بن محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: د علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405هـ/1985م .
- إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م .
- برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج1، ط1، 1403هـ/1984م
- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م .
- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1998م .
- جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، مكتبة العبيكان، ج4، د.ت .
- جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية .

- جيلالي بن يشو، المماثلة والمخالفة بين الفصحى والعامية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، تلمسان، 2006م .
- الحسن بن قاسم ابن أم قاسم المرادي، شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، تحقيق علي حسين البواب، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1407هـ/1987م .
- حسن غازي السعدي، المخالفة الصوتية في القرآن - تفسيرها بين القدماء والمحدثين، مجلة مداد للآداب، جامعة بابل، دت.
- حسين جمعة، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، 2002م .
- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ج1، ط1، 1412هـ
- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م
- روبرت مارتين، مدخل لفهم اللسانيات، تحقيق عبد القادر الهميري، بيروت، ط1، 2007م .
- سعيد محمد شواهنة، القواعد الصرف الصوتية بين القدماء والمحدثين، مؤسسة الوراق، عمان، ط1، 2007م .
- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت .
- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط7، 1402هـ/1982م
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط15، 1988م.
- سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، بيروت، دت.
- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، مجلد1، دت.
- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب، القاهرة، ط1، (1374هـ/1929م).

- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دت.
- الطيب الإسكافي: درة الترتيل وغرة التأويل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1401هـ/1981م
- عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط1، 1403هـ/1983م
- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط8، 1987.
- عبد الحميد الفراهي: دلائل النظام، المطبعة الحميدية، 1388هـ
- عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، شركة الهضاب، الجزائر، دط، دت.
- عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ/1980م.
- عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، دت.
- عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، دار الكتاب الحديث، دت.
- عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، ط3، 1974.
- عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، القاهرة، ط4، 1994م
- العلوي يحيى بن حمزة: الطرز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، صيدا/بيروت، ط1، 1423هـ
- علي بن علي أبو الوفا، القول السديد في علم التجويد، مكتبة ابن كثير، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- عمر بن ثابت الثمانيني، شرح التصريف، تحقيق د إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1999م
- غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 2004م.

- فاضل ثامر، في إشكالية النقد والحداثة والإبداع، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1987م .
- فخر الدين قباوة، التحليل النحوي أصوله وأدلتها، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، ط1، 2002م .
- فريال زكريا العبد، الميزان في أحكام تجويد القرآن، دار الإيمان، الإسكندرية، 2005م .
- فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2004م .
- كمال الدين المرسي، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1999م .
- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م .
- مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م .
- محمد إبراهيم شادي: إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة
- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، ط2، 1421هـ/2000م .
- محمد السيد الطنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة مصر للطباعة والتوزيع، الفجالة/القاهرة، ط1، دت.
- محمد جواد النوري، علم أصوات العربية، جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1996م .
- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم المنار، دار المنار، القاهرة، ط2، (1366هـ/1947م)، ج1
- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1298هـ، ج8
- محمد شحرور، الكتاب والقرآن، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا/دمشق، دت
- محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار طيبة، السعودية، ط1، 1417هـ/1997م
- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، ط6، بيروت، لبنان، 1983 .

- محمد مكي نصر الجريسي، نهاية القول المفيد في علم القرآن المجيد، تحقيق أحمد علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط4، 2011.
- مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن، كلية الآداب واللغات، جامعة الإسكندرية، ط1، 1428هـ-2007م.
- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2003م
- مقدوري زموري، آمال شوكي، التناسب في القرآن الكريم، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018
- نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنايرة، جدة، السعودية، ط1، 1412هـ-1991م.
- وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.

2-المقالات والدراسات

- أحمد قاسم الزمر، معالم أسلوبية عند ابن الأثير في كتاب المثل السائر، مجلة المورد، ع2، 2002م.
- فاضل ثامر، في إشكالية النقد والحداثة والإبداع، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987م

3-الرسائل الجامعية والدراسات

- جيلالي بن يشو، المماثلة والمخالفة بين الفصحى والعامية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر - تلمسان، 2006م



فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	شكر وعرافان
	إهداء
أ- و	المقدمة
01	مدخل: تبسيط مفاهيم
	الفصل الأول: جمالية التوازي الصوتي الداخلي في القرآن الكريم بين علم التجويد والتحليل اللساني المعاصر .
23	تمهيد
24	أولاً: التكرار الصوتي (المخارج والصفات).
40	ثانياً: المقاطع الصوتية .
50	ثالثاً: المماثلة والمخالفة.
	الفصل الثاني: جمالية التوازي الصوتي الخارجي في القرآن الكريم من منظور علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر
70	تمهيد
72	أولاً: الفاصلة القرآنية.

92	ثانيا: الحروف المقطعة.
107	ثالثا: التناسب الصوتي
121	الخاتمة
124	قائمة المصادر المراجع
132	الفهرس
134	الملخص باللغة العربية

الملخص باللغة العربية:

إنَّ القرآن الكريم كتابٌ معجزٌ في آياته، وفي تركيب ألفاظه وكلامه، ومن مظاهر إعجازه جانبه الصوتي الذي يتجلى في جمال جرسه، وتناسق أصواته، ودقة نظمه، مما يضيف عليه تأثيراً خاصاً في النفس ويكشف عن جانبٍ بلاغيٍّ فريد.

يقوم بحثنا على دراسة التوازي الصوتي في القرآن الكريم من منظور يجمع بين علماء التجويد والتحليل اللساني المعاصر، مع بيان دوره في إبراز المعنى وتعزيز الأثر الدلالي والجمالي.

فقد تناولنا فيه عدة مفاهيم أساسية منها: الصوت، التوازي، علم التجويد، التحليل اللساني ثم طبقت هذه المفاهيم على نماذج من النص القرآني من خلال دراسة التكرار الصوتي، الفواصل القرآنية، التناسب الصوتي، المماثلة والمخالفة...

The holy Quran is a miraculous book in its verses, in the composition of its words and speech, and among the manifestation of its miraculous nature is its phonetic aspect, which is manifested in the beauty of its resonance, the harmony of its sounds, and the precision of its arrangement, giving it a special effect on the soul and revealing a unique rhetorical aspect.

Our research is based on the study of phonetic parallelism in the holy Quran from a perspective that combines the scholars of tajweed and contemporary linguistic analysis, while clarifying its role in highlighting meaning and enhancing its semantic and aesthetic impact.

We addressed several key concepts including: sound, parallelism, tajweed, and linguistic analysis. We then applied these concepts to examples from the Quran text through the study of sound repetition, Quran pauses, phonetic harmony, and similarity and contrast.